مجـــلة جامعـــة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

العـدد الثـامـن
رجـــب ١٤١٣هـ

أهم الملامح الفنية في الحديث النبوي

د. محمد بن حســـن الزير
الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية
وعميد شؤون المكتبات بالجامعة

تمهيد :

بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ليقوم بمهمة واضحة محددة، تلك هي مهمة الدعوة إلى ما أنزله الله، والبلاغ لهذا التنزيل بلاغاً مبيناً قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[5] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[6] وقال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾[7] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[8] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[9] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[10] وقال تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.[11]

---

* قدم هذا البحث لندوة الأدب الإسلامي التي نظمتها رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية وكلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة.

(١) النحل ١٢٥.
(٢) النحل ٤٤.
(٣) النحل ٦٤.
(٤) المائدة ٩٩.
(٥) النور ٥٤، العنكبوت ١٨.
(٦) المائدة ٦٧.
(٧) آل عمران ٢.
(٨) المائدة ٩٢.
(٩) التغابن ١٢.
(١٠) إبراهيم ٤.
(١١) المائدة ٦٧.

وهذه المهمة العظيمة السامية تتطلب تفوقاً بيانياً[١٢] وقدرة بلاغية خاصة؛ ليتحقق الاضطلاع المطلوب بأداء الرسالة على الصورة التي يرتضيها الله تبارك وتعالى فيمن أرسله.

وقد كان من أهم أدوات الإبلاغ، ومن أوّلها، أداة الكلمة البليغة المؤثرة قال تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[١٣]. ومردّ ذلك إلى فاعلية الكلمة في بناء الإنسان الفكري وتكوينه الروحي؛ نظراً للصلة القوية بين الإنسان واللغة من حيث إن اللغة بُعْد مهم من أبعاد الإنسان نفسه، ومن هنا فبمقدار ما يتحقق في الكلام من كمال لغوي، أو بلاغة أو فنية بلغة اليوم، يتحقق التأثير، ولأمر ما جاء التنزيل الربّاني عن الإسلام في وعاء من البيان الكلامي في الصورة الأكمل بلاغة وفنية على الإطلاق.

ثم كان لابد أن يأتي بيان التنزيل الإلهي امتداداً جمالياً في صورة لغوية فنية بليغة، تستمد بلاغتها وفنيتها من مصدر إلهي يمنحها القدرة الفائقة على أداء البيان. والله تبارك وتعالى قد أراد بحكمته وعلمه أن يكل هذه المهمة إلى محمد بن عبدالله، «والله أعلم حيث يجعل رسالته».[١٤] ولهذا فقد أعد الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأهله لحمل تلك الرسالة، وأتاح له من الأسباب ما يجعله متمكناً من وسيلة البيان على الوجه الأكمل، وقادراً على أن يبين للناس ما أنزله الله من وحي عظيم في قول واضح جميل.

لقد أتاح الله لنبيه منذ البداية أسباب الفصاحة والبلاغة[١٥] فهو من قبيلة من أفصح القبائل العربية، واسترضع في بني سعد، إلى جانب عامل الفطرة السليمة

---

(١٢) انظر د. محمد رجب البيومي؛ البيان النبوي ص ٥٣.

(١٣) النساء ٦٣.

(١٤) الأنعام ١٢٤.

(١٥) انظر: أحمد حسن الزيات؛ وحي الرسالة ٣/١٠٥ وانظر الرافعي؛ تاريخ آداب العرب ٢/٢٨١ ـ ٢٨٧ وانظر: بكري شيخ أمين؛ أدب الحديث النبوي ص ١٠١، وانظر: د. محمد رجب البيومي؛ البيان النبوي ص ٧. وانظر ص ٥٣٠.

والفكر الثاقب الذي طالما دفع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى التأمل والنظر،[١٦] ثم ما كان من تلمذة نجيبة في مدرسة القرآن الكريم البيانية، تخلقاً في السلوك، واتباعاً في البيان، فتمّت له صلى الله عليه وسلم الفصاحة الكاملة الفريدة في اللسان واللغة والفصاحة والنطق وطريقة الإبلاغ إلى جانب الموضوعات الغنيّة بعمقها الفكري، وأصالة معانيها.[١٧]

«إن بلاغة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، وتقصر مقاييسه عن قياسه فنحن لا ندرك كنهه، وإنما ندرك أثره، ولا نعلم إنشاءه وإنما نعلم خبره..»[١٨] وقديماً قال الزمخشري عن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم: «ثم إن هذا البيان العربي كأن الله عزت قدرته مخضه وألقى زبدته على لسان محمد عليه أفضل صلاة وأوفر سلام..»[١٩] وقال الجاحظ عنه: ﴿ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشُيّد بالتأييد، ويُسِّر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام.﴾[٢٠]

ومن قَبْلُ أيضاً تعجب أبوبكر الصديق رضي الله عنه من فصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال له: «لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك، فمن أدبك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[٢١]. ومثل ذلك كان من علي ابن أبي طالب، كرم الله وجهه، حينما قال: «يارسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نعرفه، فمن علّمك؟ فقال له: أدبني ربي فأحسن تأديبي».[٢٢]

---

(١٦) انظر: البيومي؛ البيان النبوي ص ٧.

(١٧) انظر: العقاد؛ عبقرية محمد ص ٢٠، ٢١.

(١٨) أحمد حسن الزيات، وحي الرسالة ٣/١٠٥.

(١٩) الفائق في غريب الحديث ١/١١.

(٢٠) البيان والتبيين ٢/١٧.

(٢١) تاريخ آداب العرب للرافعي ٢/٣٠. وانظر الهامش أيضاً.

(٢٢) الأدب العربي.. د. عبدالحميد المسلوت ص ٣٨٧ ـ ٢٨٨ وقد ورد الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير الجزري ١/٤ بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي.

نعم، لقد كانت الفصاحة والبلاغة النبوية التي لمسها أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من مظاهر الرعاية الربّانية لنبيه الكريم، إعداداً له للوفاء بمهمة البلاغ المنوطة به، ولقد تحمّل الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المهمة بأمانة واقتدار، وأمضى حياته داعياً مبلغاً، مسخراً كل ما آتاه الله من ملكات بيانية فائقة لأداء الرسالة الإلهية، ولقد كشفت تلك العبارة الدالة في خاتمة خطبته الوداعية في نهاية مطاف تلك الرحلة البيانية الرائعة التي أمضاها الرسول (صلى الله عليه وسلم) منذ بعث إلى أن أُكْمِلَ الإسلامُ على يدي رسوله تشريعاً وبياناً، كشفت عن مبلغ عناية الرسول بمهمة البلاغ، واهتمامه بها، واحتفاله العميق بالوفاء بها «اللهم هل بلغت».

«اللهم هل بلغت» هذه هي اللازمة التي رددها النبي في أطول خطبه الأخيرة، وهي خطبة الوداع.

وهي لازمة عظيمة الدلالة في مقامها؛ لأنها لخصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات؛ فما كانت حياة النبي كلها بعملها وقولها وحركتها وسكونها إلا حياة تبليغ وبلاغ، وما كان لها من فاصلة خاتمة أبلغ من قوله عليه السلام وهو يجود بنفسه «جلال ربي الرفيع فقد بلغت» ولصدق هذه الدلالة ترى أن السمة الغالبة على أسلوب النبي في كلامه المحفوظ بين أيدينا هي سمة الإبلاغ قبل كل سمة أخرى.. بل هي السمة الجامعة التي لا سمة غيرها؛ لأنها أصل شامل لما تفرّق من سمات هي منها بمثابة الفروع». [٢٣]

وعناية الله تبارك وتعالى بفصاحة نبيه، ومن قبل بفصاحة القرآن الكريم، تدلّنا على أهمية الكلمة البيانة وفاعلية أثرها في حياة الدعوة، وتضع أيدينا على سر إلهي عظيم أودعه الله تبارك وتعالى في الكلمة بما فيها من سحر حلال، هو فن التعبير الفصيح؛ ولهذا قال الله تعالى على لسان موسى الرسول ـ عليه السلام ـ؛ ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [٢٤]

(٢٣) العقاد؛ عبقرية محمد ص ٧١.

(٢٤) القصص ٣٤.

وقال: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾[٢٥] وقال تبارك وتعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾.[٢٦]

ومن هنا جاء البيان النبوي في الحديث مثال الفصاحة البشرية في تألقها وروعة أدائها، وحيوية تأثيرها؛ لأنها مثال الاكتمال الأدبي.. والجمال الفني.

وهذا يلفتنا إلى حقيقة ناصعة وهي أهمية الفنّية في العمل الأدبي الإسلامي، وأنه لذلك أصل مكين من أصول الإسلام في مجال الكلمة الأدبية الإسلامية، وأنها كلمة يجب أن تصدر على صورة من الاكتمال الأدبي، والجمال الفني لتحدث أثرها المطلوب.
يلفتنا إلى أن فنّية الكلمة الإسلامية، واجب وليس نافلة.

ومن الواجب أيضاً من هذا المنطلق أن نمعن النظر في صورة البيان النبوي.. وهي صورة ذات ملامح فنية متعددة ومتنوعة، وليس هذا غريباً وقد عرفنا، أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم تقتضي هذا الأداء الفني المؤثر، كما عرفنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد امتلك الأسباب الموضوعية الواقعية التي جعلته متمكناً من أداته الفنية في مجال القول.

والشيء المؤكد أنه ليس من الممكن أن نتحدث في مثل هذه العجالة، وفي مثل هذا المجال، المحدد بزمن، عن فن البيان النبوي وهو ما هو تنوعا وغنى وسعة ويتطلب الحديث عنه إلى أبحاث متصلة متواصلة،[٢٧] ولكن ربما نستطيع أن نشير إشارات

---

(٢٥) طه ٢٧.

(٢٦) ص ٢٠.

(٢٧) حظي الحديث النبوي الشريف بأبحاث ودراسات متنوعة ومتعددة قديماً وحديثاً، من أهمها في المجال الأدبي: ما قام به الجاحظ في البيان والتبيين، والشريف الرضي في المجازات النبوية، والباقلاني في إعجاز القرآن وابن الأثير في المثل السائر، والعسكري في الصناعتين، وغيرهم. وفي الحديث نجد كثيراً من الدراسات في موضوعات مختلفة منها:

١ - أحمد حسن الزيات: [دفاع عن البلاغة - وحي الرسالة].

٢ - العقاد: [عبقرية محمد].

٣ - الرافعي: [تاريخ آداب العرب - إعجاز القرآن - وحي القلم].

سريعـة وجيزة إلى أهم الملامح الفنية في الحديث، مع اليقين بأن الحديث النبوي سيظل مجالاً وميداناً رحباً لكثير وكثير من الدراسات المطوّلة والمتعمقة لاستجلاء ما يزخر به من جوانب غير محدودة من وجوه الإبداع، وارتياد ما يحفل به من آفاق لا تنتهي من ألوان السحر الحلال، وروائع أسلوب السهل الممتع الممتنع.

ولا شك في أننا، نحن المسلمين، في حاجة دائماً إلى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم والسير على خطاه في كل مجال. . ومن ذلك مجال الأدب ومنهج الكلمة من أجل أن نحمل رسالتنا الإسلامية وأن نعبر عنها في صورة لائقة من الإبداع الأدبي الحيوي.

ومن الله نستمد العون والتوفيق.

أهم الملامح الفنية في الحديث

إن رصيد الآثار البيانية التي ورثها المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الضخـامـة والكثـرة والتنوع بحيث يظل المسلمون يستكشفون ملامح إبداعية جديدة كلما قلبوا فيه نظرهم المرة تلو المرة. ولا عجب في ذلك حين نعلم أن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم طيلة ثلاث وعشرين سنة أمضاها داعياً للإسلام مبيناً

---

٤ ـ د. عز الدين السيد: [الحديث النبوي من الوجهة البلاغية].

٥ ـ د. محمد رجب البيومي: [البيان النبوي].

٦ ـ د. محمد الصباغ: [الحديث النبوي].

٧ ـ د. بكري شيخ أمين: [أدب الحديث النبوي].

٨ ـ د. محمد بن حسن الزير. [القصص في الحديث النبوي].

٩ ـ د. أحمد محمد عبدالله العلي. [مشاهد القيامة في الحديث النبوي].

. . . إلخ، ولا شك في أن تراث الدراسات والأبحاث الأدبية عن الأدب النبوي وبخاصة عن جوانب الإبداع الفني فيه إنما هو رصيد أدبي لحقل الدراسات في الأدب الإسلامي وبخاصة أنها تكشف عن أهمية الإبداع الفني في الأدب الإسلامي، وأنه مسألة راسخة لا محيد عنها.

له موضحاً لما أنزله الله عليه فعلاً وتقريراً وقولاً، وكان حديثه القولي مستمراً ثرا في كل وقت ومناسبة وحادثة إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.

نعم، سيظل المسلمون على الدوام في حاجة إلى النظر في الحديث النبوي من النواحي البيانية الإبداعية، وسيظلون يجنون جديداً في هذا المجال مع كل نظرة جديدة، وسيظل كما قال الرافعي: «كلما زدته فكراً زادك معنى».[٢٨]

ومن هنا فإن ما سأعرض له من ملامح، إنما هي بعض الملامح العامة، وهي ملامح غير جامعة ولا مانعة، وثمة ملاحظة أخرى وهي أن عرض هذه الملامح ليس مرتباً وفق اعتبارات معينة من حيث الأهمية، والأولوية؛ لأنها وجوه مختلفة لشيء واحد.

وفيما يلي عرض لأهم تلك الملامح:

١ ـ البيان والوضوح:

من أبرز الملامح التي يلمسها المطلّع على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرة الوضوح التام، والبيان الصريح، دون غموض أو التواء، أو تعسر في الكشف عن المعنى المراد إيصاله إلى المستمعين، ولا شك في أن هذه الظاهرة طبيعية، وينبغي ألا تكون محل عجب لأكثر من سبب؛ فأولاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبتعثاً من الله لتبيين ما أنزل الله وتوضيحه للناس،[٢٩] ودعوتهم لما في التنزيل من خير، وما تضمّن من أحكام وتعليمات تتعلق بالحياة والكون والإنسان والدنيا والآخرة، ولابد للداعية أن يكون واضح العبارة ناصع البيان عن المعاني التي يسعى إلى توصيلها إلى الإفهام والمدارك والعقول والقلوب على ما بينها من تفاوت واختلاف في مستوى الفهم والإدراك.

---

(٢٨) وحي القلم ٣/٨.

(٢٩) انظر: النحل ٤٤، ٦٤، ١٢٥، المائدة ٦٧، ٩٢، ٩٩، النور ٥٤، العنكبوت ١٨، آل عمران ٢، التغابن ١٢، إبراهيم ٤.

كما أن الأفكار والمعاني التي يتصدّى الرسول صلى الله عليه وسلم لتبيينها والدعوة إليها كانت من الوضوح في نفسه بحيث لا يحتاج معها إلى تكلّف أو اعتساف في الأسلوب والعبارة، فقد علّمه الله، ويسرّ له الذكر الحكيم، واستنارت به بصيرته وتفاعلت في روحه مع فطرته الصافية المبرأة وبما منحه الله من النبوة.

يقول الرافعي: «.. ثم لا تنسى أن النبوة أكبر السبب في ذلك الوضوح البياني العجيب؛ فإن الحياة لا تستغلق في البلاغة بإنسان إلا وهي غنية عنه، ولعل غموض بعض الفلاسفة وبعض الشعراء هو من دليل الطبيعة على أنهم زائدون في الطبيعة.. ألا ترى أن من أساليبهم الفلسفية والشعرية ما يجعل معنى الكلمة أحياناً هو نقض معناها، إذ يتصنعون للفكر ويستجلبون له..»[٣٠] ومثل ذلك ما يقوله البيومي عما يتسم به الأدب النبوي من الإيضاح والإشراق: «.. إن فريقاً من أساتذة النقد يقولون: إن المعاني الغامضة التي يفاجئنا بها نفر من الكاتبين في مؤلفاتهم العويصة لا تدل على العمق والقوة قدر ما تدل على العجز والعيى. لأن المعنى إذا كان واضحاً في نفس الكاتب، بارز الجوانب في تصوره انقاد له اللفظ انقيادا فجاءت الألفاظ سلسلة طائعة تصور ما بنفسه من الأفكار الواضحة التي يراها دون حجاب».[٣١]

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التقعر في الكلام والإغراب في الحديث[٣٢] من الآخرين فضلاً عن أنه يتجنبه نفسه في أحديثه، وفي طريقته في إفهام محدثيه وسامعيه، وهذه سمة عامة في كل كلامه وبيانه، وكل النصوص النبوية نماذج دالة على هذه الحقيقة ولا بأس أن نسوق في هذا المقام مثالاً.[٣٣]

قال صلى الله عليه وسلم في جمع من أهل مكة معلنا فيهم نبوته وأنه مرسل من الله إليهم.

---

(٣٠) وحي القلم ٣/٢١.

(٣١) البيان النبوي ص ٢٤٨.

(٣٢) انظر: د. محمد الصباغ؛ الحديث النبوي ص ٥٢.

(٣٣) انظر الأمثلة الكثيرة في كتب الحديث.

«إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعلمون، ولتجزون بالإحسان إحسانا، وبالسوء سوءا، وإنها لجنة أبدا، أو لنار أبدا..»[٣٤].

إن الوضوح والإبانة في هذه العبارات لا تحتاج إلى تعليق.

كما أن البيان النبوي يستخدم كثيراً من ألوان البيان وأدوات الإيضاح في التعبير عن المعاني من مثل التشبيه والاستعارة والكناية والأمثال والقصة... إلخ[٣٥] كل ذلك في ألفاظ واضحة وعبارات مفهومة، وصور قريبة.

ولا ينبغي أن نغادر موضوع الوضوح في البيان النبوي دون الإشارة إلى ما تعرض له الدكتور محمد رجب البيومي في دراسته للبيان النبوي من ورود الغريب في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى ما ألّف فيه من كتب[٣٦]، ولكن هذه الغرابة لا يراها تخرج عن حالتين، ألفاظ كانت مألوفة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ثم غمضت فيما بعد، فهذه غرابة نسبية لأنها ليست غريبة في ذاتها، أو أن غرابتها جاءت من عدم استخدامها، والرسول يستعملها لأنها اللفظ المؤدي للمعنى المراد.. وهنا تكون الغرابة على ندرتها القليلة مما يحمد لأنها فتح جديد للفظ جديد يأخذ طريقه كي يسير. وكل ذلك نادر، نادر، إذا قيس بما نتداوله من أدب محمد وجله مشرق أنيس..[٣٧]

وذكر ضربا ثالثاً من ضروب الغرابة حسب رأيه «غير هذا وذاك سيق إليه الرسول سوقا واضطر إليه اضطرارا. وهو ما تحدث به محمد صلى الله عليه وسلم أو كتب به

---

(٣٤) إنسان العيون ١/٤٥٩.

(٣٥) انظر مباحث: استخدام المجاز، التصوير، استخدام الفن القصصي.

(٣٦) انظر: البيان النبوي ص ٢٥٨.

(٣٧) البيومي؛ البيان النبوي ص ٢٥٩.

رسائله وعهوده إلى القبائل النائية في بطن الجزيرة ممن لا ينطقون بلغة قريش. . ».[٣٨]
ولست أرى مثل ذلك من الغرابة التي سيق إليها الرسول صلى الله عليه وسلم سوقا أو اضطرا إليها اضطرارا؛ لأنه الرسول المُعَلَّمُ من الله، المكلف بإبلاغ الجميع، كل حسب ما يفهمه. . وحسب ما يحسن إدراكه من ألفاظ، وهذا من بلاغته صلى الله عليه وسلم، وحسن مراعاته لأحوال من يخاطبهم، ويجب أن نلاحظ أنه كان وهو يتوجه بمثل ذلك الخطاب، إنما يتوجه به لفئة معينة لا تحسن إلا مثل هذا الخطاب ومثل تلك الألفاظ، ولهذا فإن صحابته صلى الله عليه وسلم لم يروا أنه كان يقع في أمر يؤخذ عليه، وإنما التفتوا إلى أنه كان يفعل شيئاً إيجابياً يدعو إلى الإعجاب والتقدير لقدرته على التعامل مع كل قوم بما يحسنون، ولذلك كان يعلق على تعجبهم بقوله: أدبني ربي فأحسن تأديبي، وربيت في بني سعد»[٣٩] ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر[٤٠] وخطابه لطهفه بين أبي زهير النّهدي، ثم كتابه لبني نهد أيضاً.[٤١]

ويمكن النظر إلى هذا النوع على أنه من قبيل الغريب النسبي لأنه بالنسبة إلى من وجه إليهم ليس غريباً البتة بل هو الوضوح عينه.

ولعله من المناسب أن يختم هذا المبحث بما رواه أنس رضي الله عنه من «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً» رواه البخاري.

«وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً فصلا يفهمه كل من يسمعه، رواه أبو داود».[٤٢]

---

(٣٨) السابق.

(٣٩) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/٤.

(٤٠) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١/٥٧.

(٤١) انظر: السابق ١/٥٧.

(٤٢) رياض الصالحين (باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب ص ٢٩٦.

٢ ـ القوة والتأثير:

لقد كانت مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم التبليغية تتطلب إلى جانب البيان والـوضوح في كلامه القوة التي تجعله مؤثراً في سامعيه ومحدثيه وموصلاً إليهم معنى الـرسـالة ومقصد الدعوة من هنا جاء بيانه عليه الصلاة والسلام قوي البناء محكم العبـارة مستخـدماً لأساليب القول المنطوية على عناصر التأثير في المستمعين. وكل كلامه، صلى الله عليه وسلم، أمثلة حية على هذا الجانب وبلاغته النبوية[٤٣] إنما هي شاهد بَيِّن على هذه المسألة.

وكانت اللغة الأدبية التي كان يستخدمها عليه السلام دائماً، حتى وهو في معرض بيان أحكام الشريعة وحقائقها، إن هذه اللغة لا تغيب أبدا «إنك تقرأ أحاديث محمد التشريعية فلا يعييك أن تجد طابعه الأدبي، وأن تتلمس عناصر أسلوبه تنادي على نفسها، وتغريك بتأملها تاليا ومستعيداً، حتى لينسى القاريء أنه يطالع تشريعاً. وله الحق في ذلك فهو يقرأ أنموذجاً من الأدب القوي يعرض الفكرة القوية معرضاً أخاذا فيبعث فيها من الحياة ما يكاد يخرج بها عن دائرة القانون في أنظار القادرين». [٤٤]

وهـذا الأسلوب البياني البليغ إنما هو أثر من أثار قوة الروح؛ أي أن قوة الروح مظهرها قوة الكلمة، وقوة الكلمة من قوة الفكرة ووضوحها، «فكلما قويت الروحية في المرء قويت الفكرة، وكلما بلغت الإنسانية فيه بلغ البيان. وليس من السهل تعليل سطوع النفس وإشعـاع الروح بالمنطق البين، فإن ذلك لا يزال فوق الفهم ووراء المعرفة. وحسب المدارك المحدودة أن تقف لدى الظواهر والآثار فتحكم بالاستقراء وتبنى على الواقع. والواقع أن قَوِيَّ الرجولة بليغُ الكلام ما في ذلك شك. كأنما قوة الحيوية في في الرجل تستلزم قوة الشاعرية فيه. ومتى أشرق المعنى في الذهن النفاذ،

(٤٣) انظر لمزيد من البحث والتفصيل الدكتور عزالدين علي السيد؛ الحديث النبوي من الوجهة البلاغية.

(٤٤) د. محمد رجب البيومي؛ البيان النبوي ص ٤٧.

وتمثل الخيال في الخاطر المجلو، أوجبت الطبيعة بروزهما في المعرض الرائع من وثاقة التركيب، وأناقة اللفظ وبراعة الإيجاز». [٤٥]

ونكتفي هنا بالإشارة إلى هذا الملمح دون ذكر الأمثلة؛ لأن جوانب القوة والتأثير يمكن أن نتلمسها في الملامح القادمة من هذا البحث والتي ستكون تفصيلاً بالأمثلة لمظاهر القوة ووسائل التأثير التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في بيانه الشريف. [٤٦]

٣ ـ الأصـــالة والجدة :

من أبـرز المـلامـح الفنية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم تميزه بخاصة الأصـالة والجدة التي كانت ظاهرة واضحة في أقواله الكثيرة التي كان يبدعها عليه أفضل الصلاة والسلام على غير مثال سابق، فهو ابن بجدتها، وهو يبتدع كثيراً من الأساليب البيانية والعبارات الجديدة، التي تكشف عن إلهام الله له وتوفيقه له للإتيان بألوان متنوعة من فنون القول التي لم يسبق إليها وقد قال صلى الله عليه وسلم «أوتيت القرآن ومثله معه» [٤٧] وقد لاحظ الدارسون هذه الخصوصية في بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم وبيانه [٤٨]

وقـد أشـار النبي نفسـه صلى الله عليه وسلم إلى هذه الخصـوصية بمثل قوله: «أعطيت جوامع الكلم» وفي رواية «أوتيت جوامع الكلم». [٤٩]

---

(٤٥) أحمد حسن الزيات؛ دفاع عن البلاغة ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٤٦) انظر العناصر القادمة (من ٣ ـ ١١).

(٤٧) تيسير الوصول ١/ ٢٥.

(٤٨) انظر: الزيات؛ دفاع عن البلاغة ص ٦٥ ـ ١٠٠، ومن وحي الرسالة ٣/ ١٠٧ وانظر: عبدالحميد المسلوت؛ الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام ص ٣٨٧ وانظر: الصباغ؛ الحديث النبوي ص ٩٣.

(٤٩) الصناعتين لأبي هلال العسكري ١٦٧. وانظر: الرافعي؛ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

وعن هذا الجانب يقول الرافعي: «فلا جرم كان صلى الله عليه وسلم على حد الكفاية في قدرته على الوضع، والتشقيق من الألفاظ، وانتزاع المذاهب البيانية، حتى اقتضب ألفاظاً كثيرة لم تسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها، وهي تعد من حسنات البيان، لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها، وقوة دلالتها، وغرابة القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها، وكلها قد صار مثلا، وأصبح ميراثا خالداً في البيان العربي». [٥٠]

ثم يسوق أمثلة لذلك[٥١] من نحو قوله صلى الله عليه وسلم: «مات حتف أنفه»[٥٢] وقوله: «الآن حمي الوطيس». [٥٣]

ومن الأمثلة أيضاً: قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين». [٥٤] وقد ذهب كثير من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، التي ابتدعها، مذهب الأمثال وجرت على ألسنة العامة[٥٥] والخاصة، والأمثلة كثيرة جداً ومن ذلك، قوله عليه الصلاة والسلام: «هدنة على دخن» و «المؤمن مرآة أخيه». و «اشتدي أزمة تنفرجي» و «كل الصيد في جوف الفرا» و «الصبر عند الصدمة الأولى» و «الناس معادن» و «إذا لم تستح فاصنع ما شئت». إلخ. [٥٦]

وإلى جانب هذا الإبداع الأصيل في مجال العبارة والتركيب هناك في بيانه صلى الله عليه وسلم الجدة والأصالة في المعاني التي تحملها أقواله الشريفة وهذا أمر واضح من

---

(٥٠) تاريخ آداب العرب ٢/٣١٥.

(٥١) السابق ٢/٣١٥ - ٣١٦.

(٥٢) المزهر ١/٣٠٩.

(٥٣) السابق.

(٥٤) السابق.

(٥٥) انظر: عبدالحميد المسلوت؛ الأدب العربي ص ٣٨٧.

(٥٦) انظر مزيدا من الأمثلة في: المجازات النبوية للشريف الرضي، ومن وحي الرسالة للزيات ٣/١٠٧ والحديث النبوي من الوجهة البلاغية للدكتور عزالدين علي السيد ص ١٨٥-١٨٦ وأدب الحديث النبوي د. بكري شيخ أمين ص ١٠٤-١٠٦.

المعاني الإسلامية الجديدة التي هي امتداد للمعاني القرآنية، والمفاهيم التي جاء بها الدين الجديد بكل ما فيها من عمق وغنى وشمول للحياة والكون والإنسان في الحاضر والمستقبل، في عالم الشهادة وعالم الغيب. والرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف امتداد طبيعي للمعاني القرآنية، ويعبر عن الإسلام ومعانيه، والرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾.[٥٧]

٤ ـ الدقة والإحكام:

جاء الحديث النبوي الشريف بكل أنواعه وفنونه في أسلوب متميز بالدقة والإحكام في استخدام الألفاظ والعبارات الدالة على المقصود، وهي تختار بعناية تامة، بحيث لا يغني عنها غيرها، وبحيث تكون في المحل المناسب دون زيادة أو نقصان.

«وما ضلت الألفاظ لدى بعض الناس وصارت موضع اللجاج والجدل إلا لأنها لم تأخذ مكانها المحدد ولم تُفَصّل على المعنى المراد أحكم تفصيل».[٥٨]

والرسول صلى الله عليه وسلم يحرص على استخدام الألفاظ ذات الحيوية والطاقة الفاعلة ويوظفها بالشكل المناسب لتحقق المعنى المطلوب والتأثير المرغوب في المستمع من مثل ما نجد في حديث الرسول عن متكبر، قد انتفخ خيلاء، وعن المصير الذي انتهى إليه، فيختار الرسول في مقام ترهيبنا من هذا السلوك المنكر، اللفظة القوية التي تؤدي دلالتها الذهنية والإيحائية والموسيقية في ترهيبنا من الكبر ومصير المتكبرين: «بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه، إذْ خُسِفَ به الأرض فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرض حتى تقوم الساعة».[٥٩]

«فلفظتا «خسف» و «يتجلجل» بما تحملانه من قوة وما تشفان به من معنى رهيب

---

(٥٧) النجم ٣ ـ ٥.

(٥٨) د. محمد رجب البيومي؛ البيان النبوي ص ٦٨.

(٥٩) صحيح مسلم ٣/١٦٥٣.

يزيد في تعميقه في نفوسنا دلالة الفعل الماضي على عملية الخسف التي تشعر بتحققه فعلاً، ودلالة الفعل المضارع على تحقق التجلجل في أعماق الأرض واستمراره في صورة تستحضرها في نفوسنا هنا صيغة المضارع . . » .[٦٠]

ومن مظاهر الدقة والإحكام في استخدام العبارات في الحديث النبوي، أن تكون العبارة المختارة في كلامه صلى الله عليه وسلم، إلى جانب دلالتها على المعنى المقصود، محافظة على سموها وعفتها ونظافتها فلا تخدش الحياء ولا تؤدي إلى استثارة كوامن الغريزة أو حفز الشهوة؛ كقوله عليه الصلاة والسلام لأسامة بن زيد وقد كساه قبطيّة فكساها زيد امرأته «أخاف أن تصف حجم عظامها»[٦١] فاختار الرسول كلمة عظام بدلاً من كلمة أعضاء «لأن لفظة «الأعضاء» تحت الثوب الرقيق الأبيض تنبه إلى صور ذهنية كثيرة هي التي عدّها الرضي في شرحه، وهي تومىء إلى صور أخرى من ورائها فتنزه الرسول صلى الله عليه وسلم عن كل ذلك وضرب الحجاب اللغوي على هذه المعاني السافرة» .[٦٢]

ومن أمثلة الدقة المحكمة في استعمال الألفاظ والعبارات العفيفة السامية عند عرض موقف الفاحشة، وتفضيلها على العبارات الصريحة المباشرة ما نجده في حديث الكفل «على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته»[٦٣] ومثل ذلك في حديث الرجل والمرأة حيث جاء على لسان الرجل وهو يراود المرأة «لا والله ما هو دون نفسك» قوله وهو يصف حاله معها «فلما تكشفتها» وفي قول المرأة نفسها «اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه» .[٦٤]

إن الحديث الشريف هنا يحرص على أن يختار الألفاظ المناسبة في التعبير عن مثل هذه اللحظات الضعيفة الهابطة؛ الألفاظ التي تؤدي المقصود دون أن تنزل إلى مستوى

---

(٦٠) د. محمد بن حسن الزير: القصص في الحديث النبوي ص ١٦٧ .

(٦١) المجازات النبوية ص ١٦٦ .

(٦٢) مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم ٣/٢٢ ـ ٢٣ .

(٦٣) سنن الترمزي ٤/٦٥٧ ـ ٦٥٨ .

(٦٤) البخاري ٣/١٠٤ ـ ١٠٥ .

اللحظة الهابطة، وهذا قمة الفن المعبر عن المعنى المقصود في إطار من الأدب الهادف البناء.

٥ ـ السهولة وعدم التكلف:

وصف الجاحظ ـ قديماً ـ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه «الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف»[٦٥] ومن قبل قال الله عز وجل لنبيّه ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[٦٦].

وقد جاء بيانه صلى الله عليه وسلم سهلاً ميسرا مجافياً للبهرجة اللفظية، أو المحسنات التي لا طائل من ورائها، بعيداً عن التعقيد في المعنى أو الإغراب في اللفظ، أساليبه سهلة التناول قريبة المأخذ، مأنوسة للفهم، يقدم المعنى للمتلقي في يسر ووضوح.

وإن المتلقي ليسترسل مع نصوصا لحديث النبوي يتتبعها ويدرك مراميها دون عناء حتى ليكاد يشعر بأنه يستطيع أن يقول مثلها بسبب ما يستشعره من سهولتها، ولكن هيهات فإنها، بحقٍ، السهل الممتنع، يقول الدكتور محمد رجب البيومي معلقاً على بعض الأحاديث النبوية «لو فكر كاتب كبير فيما يدعو ربه أتراه يقع على أمثال هذه المعاني وفي يسر هذه الصياغة وقوعاً هادئاً غير متكلف أم أنها من السهل الممتنع نعجب ببساطتها ونعجز عن محاكاتها».[٦٧]

وإننا لنحس أن الرسول صلى الله عليه وسلم يبذل أقل جهد في سبيل تأدية بيانه الكريم بسبب ما نلقاه في هذا البيان من يسر وسهولة، وإنه لبيان رشيق مناسب، ولعله من المناسب أن نقتبس وصف الرشاقة لهذا البيان الذي يؤدى بأقل جهد ممكن[٦٨].

---

(٦٥) البيان والتبيين ٢/١٦ ـ ١٧.

(٦٦) ص ٨٦.

(٦٧) البيان النبوي ص ٢٠٣. وانظر ص ٢٤٧.

(٦٨) تقول اليزابيث درو في كتابها «الشعر كيف نفهمه ونتذوقه» ترجمة د. محمد إبراهيم الشوش. «الرشاقة

وقـد لاحظ الدارسون لبيانه صلى الله عليه وسلم هذه الخصيصة الظاهرة فيه، وحاولوا تعليلها من أكثر من وجه.

فالرافعي يقول عن ذلك «وهو معلوم صلى الله عليه وسلم لا يتكلف ولا يتعمل، ولم يكتب ولم يؤلف، ومع هذا لا نجد في بلاغته موضعاً يقبل التنقيح، أو تعرف له رقة من الشأن كأنما بين الألفاظ ومعانيها في كل بلاغته مقياس وميزان، أو كأن هذه البـلاغة تنبثق بالكلام على طبيعة عاملة فيه بقواها الدائبة الثابتة ففنها الجميل هو التركيب الذي تجيء فيه كما ترى الشجر مثلاً كاسيا من ورقة وزهرة، فأنت منه بإزاء عمل جميل لأنك بإزاء حقيقة طبيعية قد انفردت في ذاتها، معنى انفرادها في ذاتها أنها كذلك هي، فليس فيها موضع شيء غير ما هو فيها، ثم لا تنس أن النبوة أكبر السبب في ذلك الوضوح البياني العجيب..»[٦٩].

والدكتور شوقي ضيف يرد ذلك إلى كراهية النبي صلى الله عليه وسلم للإغراب في اللفظ والتعسف والتكلف.[٧٠]

والدكتور محمد الصباغ يعلل بُعْدَ أسلوب الحديث النبوي عن التكلف والتصنع بسبب فيض ذلك البيان «عن الفطرة السليمة الصافية، والنفس المجتمعة الهادئة، والعبقرية الفذة المتألقة».[٧١]

ولنختم هذا البحث بمثال من البيان السهل الممتنع، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه،

هي أن يصرف الإنسان أقل الحركات الممكنة لتأدية عمل معين» وهو تعريف ينطبق على هذه القصيدة ففي جملة واحدة استطاع فروست أن يؤلف قصيدة غنائية حلوة منسابة» ص ٦٤.

(٦٩) وحي القلم ٢/٢١.

(٧٠) انظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٥٠.

(٧١) الحديث النبوي ص ٥٤.

ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». [٧٢]

٦ ـ الوجـــازة:

من أبرز صفات منطق النبي عليه الصلاة والسلام ومن أخص خصائص بيانه الشريف الوجازة، وقد جاء في وصف منطقه على لسان الحسن بن علي رضي الله عنهما قوله «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فضلاً لا فضول فيه ولا تقصير. .». [٧٣]

وكـان عليه الصـلاة والسلام يكره الثرثرة وفضول الكلام ومن ذلك قوله: «إن أبغضكم إليّ وأبعدكم منّي مجالس يوم القيامة أساوئكم أخلاقا، والثرثارون المتشدقون المتفيهقون». [٧٤] وقوله: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تخلل البقرة». [٧٥] وفي رواية: «إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها» [٧٦] ويذكر أن أعرابياً تحدث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر الكلام فقال له عليه الصلاة والسلام: «كم دون لسانك من حجاب؟ فقال: شفتاي وأسناني، فقال له: إن الله يكره الانبعاث في الكلام، فنضّد الله وجه امريء أوجز في كلامه واقتصر على حاجته». [٧٧]

وكـان يوصي بالإيجـاز في الكلام ويرغب فيه، ومن ذلك قوله لجرير بن عبدالله البجلي: «ياجرير إذا قلت فأوجز، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف». [٧٨]

---

(٧٢) متفق عليه.

(٧٣) الوفا بأحوال المصطفى؛ ابن الجوزي ٢/٤٥٤.

(٧٤) المسند ٤/١٩٤.

(٧٥) السابق ٢/١٦٥.

(٧٦) سنن أبي داود ٢/٥٩٧.

(٧٧) أدب الدنيا والدين بتحقيق مصطفى السقا ص ٢٥٢ وانظر العمدة لابن رشيق ١/١٦١. والانبعاق الاندفاع في الكلام بشدة والإكثار منه.

(٧٨) الكامل للمبرد بتحقيق محمد أحمد الدالي ١/١٠.

ومن هنا فقد غلب على حديثه الإيجاز، ولا غرابة «فإن الوجازة بإجماع الرأي هي حد البلاغة، وإذا كانت الوجازة أصلاً في بلاغات اللغات فإنها في بلاغة العربية أصل وروح وطبع . . »[٧٩] وقد قال ابن سنان موضحاً الإيجاز: «هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ».[٨٠] ثم بين فضيلة الإيجاز بقوله: «والأصل في مدح الإيجاز والاختصار في الكلام أن الألفاظ غير مقصودة في أنفسها، وإنما المقصود هو المعاني والأغراض التي احتيج إلى العبارة عنها بالكلام، فصار اللفظ بمنزلة الطريق إلى المعاني التي هي مقصودة، وإذا كان طريقان يوصل كل واحد منهما إلى المقصود على سواء في السهولة إلا أحدهما أخصر وأقرب من الآخر فلابد أن يكون المحمود منها هو أخصرهما وأقربهما سلوكاً إلى القصد».[٨١]

وقد وصف البلاغيون والنقاد القدماء الحديث النبوي بالإيجاز،[٨٢] من مثل أبي هلال العسكري[٨٣]، وابن رشيق القيرواني[٨٤]، وابن الأثير،[٨٥] والعز بن عبدالسلام[٨٦]، وكذلك احتفل المحدثون بموضوع الإيجاز في البيان النبوي،[٨٧] من مثل ابن رجب الحنبلي،[٨٨] وأبي بكر السني،[٨٩] وأبي عبدالله القضاعي،[٩٠] وسواهم وكذلك فعل شراح الحديث من مثل العيني[٩١]، وابن حجر[٩٢].

---

(٧٩) الزيات؛ دفاع عن البلاغة ص ١٣٠.

(٨٠) سر الفصاحة ص ٢٠٠.

(٨١) السابق ص ٢٠٣.

(٨٢) انظر: الصباغ، الحديث النبوي ص ٨٩.

(٨٣) انظر: الصناعتين ص ١٨٧.

(٨٤) انظر: العمدة ١/٢٢٤.

(٨٥) انظر: المثل السائر ١/١١٩.

(٨٦) انظر: الإشارة إلى الإيجاز ص ٢.

(٨٧) انظر: د. عز الدين السيد؛ الحديث النبوي ص ٤٢٧.

(٨٨) انظر: جامع العلوم والحكم.

(٨٩) انظر: الإيجاز وجوامع الكلم من السنن المأثورة.

(٩٠) انظر: الشهاب في الحكم والآداب.

(٩١) انظر: عمدة القاري.

(٩٢) انظر: فتح الباري.

ومن آثـار هذه الخصيصـة في البيان النبوي برزت ظاهرة جوامع الكلم في بيان الرسول عليه الصلاة والسلام، فوجدناه حافلاً بكثير جداً من الجمل والأقوال القصيرة التي تضمنت المعاني الكثيرة من مثل قوله:

«ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل»[٩٣] وقوله: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[٩٤] وقوله: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوى».[٩٥] وقوله: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[٩٦] وقوله: «اللهم إني أحمدك على العرق الساكن والليل النائم»[٩٧] وقوله: «خير المال عين ساهرة لعين نائمة».[٩٨] وقوله: «لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت».[٩٩]. . إلخ.[١٠٠]

وقد توقف ابن الأثير في المثل السائر عند جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم، وأورد قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أوتيت جوامع الكلم» وقال: «والمراد بذلك أنه صلى الله عليه وسلم أوتي الكلم الجوامع للمعاني».[١٠١] وقد جعل جوامع الكلم على قسمين:

١ ـ القسم الأول: ألفاظ «تتضمن من المعنى ما لا تتضمنه أخواتها، مما يجوز أن يستعمل في مكانها. فمن ذلك ما يأتي على حكم المجاز، ومنه ما يأتي على حكم الحقيقة».[١٠٢]

---

(٩٣) المجازات النبوية ص ٤١٩.

(٩٤) فتح الباري ١٠/٥٢٣.

(٩٥) السابق ١١/٥٧٢.

(٩٦) المجازات النبوية ص ٣٥.

(٩٧) السابق ص ٧٧.

(٩٨) السابق ص ٩٣.

(٩٩) السابق ١٠٩.

(١٠٠) انظر: المجازات النبوية وكتب الحديث الشريف.

(١٠١) المثل السائر ١/١١٧.

(١٠٢) السابق ١/١١٧.

ومثّل للأول بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «الآن حمي الوطيس» وقوله: «بعثت في نَفْس الساعة»، ومثّل لما يأتي على حكم الحقيقة بأبيات لابن الرومي.[١٠٣]

٢ ـ «وأما القسم الثاني من جوامع الكلم فالمراد به الإيجاز، الذي يدل به بالألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة، أي أن ألفاظه ـ صلوات الله عليه ـ جامعة للمعاني المقصودة على إيجازها واختصارها. وجلّ كلامه جار هذا المجرى فلا يحتاج إلى ضرب الأمثلة».[١٠٤]

ثم قال مبينا الفرق بين القسمين:

«فإن قيل: فما الفرق بين هذين القسمين اللذين ذكرتهما، فإنهما في المنظر سواء؟.

قلت في الجواب: إن الإنجاز هو أن يؤتي بألفاظ دالة على معنى، لها، فإنها تكون قد اتصفت بوصف آخر خارج عن وصف الإيجاز، وحينئذ يكون إيجازا وزيادة. وأما هذا القسم الآخر فإنه ألفاظ أفراد في حسنها لا نظير لها. فتارة تكون موجزة، وتارة لا تكون موجزة، وليس الغرض منها الإيجاز، وإنما الغرض مكانها من الحسن الذي لا نظير لها فيه، ألا ترى إلى قول أبي تمام: «وطن النهي»؟ فإن ذلك عبارة عن الرأس، ولاشك أن الرأس أوجز: لأن الرأس لفظة واحدة، و«وطن النهى» لفظتان، إلا أن «وطن النهى» أحسن في التعبير عن الرأس. فبان بهذا أن أحد هذين القسمين غير الآخر»[١٠٥].

وثمت تعليل جميل جيد لشيوع الإيجاز وجوامع الكلم في حديث الرسول أشار إليه أحمد حسن الزيات، ويستحسن أن نختم به هذا المبحث، يقول: «والإيجاز، وهو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، غالب على أسلوب الرسول (صلى الله عليه وسلم): لأن الإيجاز قوة في التعبير، وامتلاء في اللفظ وشدّة في التماسك،

---

(١٠٣) السابق ١/١١٩.

(١٠٤) السابق ١/١١٩.

(١٠٥) السابق ١/١١٩ ـ ١٢٠.

وهذه صفات تلازم قوة العقل، وقوة الروح، وقوة الشعور، وقوة الذهن، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه وأحاديثه حتى عدت من خصائصه[١٠٦]

٧ ـ المنطقيـــة :

من أبرز مظاهر قوة النص النبوي وتأثيره في متلقيه قيامه على أساس من المنطقية الفنية البيانية النابعة أساسا من منطقية الفكر والموضوع الذي هو امتداد لمنطقية الفكر الإسلامي وموضوعيته، وكان لابد أن ينعكس ذلك بطبيعة الحال على فكر النبي وبيانه الشريف.

والمطالع لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم يلمس بوضوح ذلك العنصر المنطقي وهو عنصر تقتضيه أيضا طبيعة الدعوة ومهمة الإبلاغ التي تقوم على أساس من الحجة والإقناع، ولأنها تخاطب في الإنسان منطق العقل ومنطق الوجدان الفطري.

جاء في الحديث أن فتى من قريش أتى النبي فقال: «يارسول الله إئذن لي في الزنا، فأقبل القوم فزجروه، فقالوا: مه مه فقال، عليه السلام: أدنه، فدنا منه قريبا، فقال: اتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال لا والله يارسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، ثم ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخته وعمته وخالته، وفي ذلك يقول الفتى مقالته: لا والله يارسول الله جعلني الله فداك. قال، فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه وحصن فرجه»[١٠٧]

ومن الأمثلة على استخدام المنطق الوجداني في الحديث النبوي، ما ورد عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

---

(١٠٦) من وحي الرسالة ٣/١٠٧.

(١٠٧) مجمع الزوائد ١٢٩.

البر والإثم فقال: البر حسن الخلق، والإثم ماحاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[١٠٨]

ومثل ذلك ماورد عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: جئت تسأل عن البر؟ قلت: نعم، قال: استفت قلبك؛ البر ما أطمأنت إليه النفس وأطمأن إليه القلب، والإثم ماحاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك»[١٠٩]

كما أن الحديث يستخدم التسلسل المنطقي[١١٠] للفكرة، وترتب المعاني بعضها على بعض، والانتقال من المقدمة إلى النتيجة، والعنصر يترتب على عنصر سابق، والجزئية في الموضوع تسلم إلى جزئية أخرى في تتابع وتدرج منطقي مقنع، وفي إطار يتلقاه السامع بالرضى والقبول، إن القارىء لنصوص الحديث الشريف يحث بتلاؤم أجزاء الموضوع وبالانسجام التام بين مكونات النص البياني، وبالتساوق المحكم بين مفردات النص ومحتواه.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا»[١١١]

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[١١٢]

---

(١٠٨) تيسير الوصول لابن الربيع الزبيدي ٢/٢٤.

(١٠٩) الجواهر اللؤلؤية للدمياطي ص ٢١٠.

(١١٠) انظر: د. عز الدين على السيد؛ الحديث النبوي ص٢٢٧ ـ ٢٥٢، د. محمد رجب البيومي؛ البيان النبوي ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨، ود. محمد الصباغ؛ الحديث النبوي.. ص٤٩.

(١١١) متفق عليه، رياض الصالحين ص ٣٨ ـ ٣٩.

(١١٢) تيسر الوصول ٣/٢١٥.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[113]

إن النص النبوي يستخدم منطقيته في استثاره منطق المتلقي الذهنية والوجدانية في التأثير عليه، وفي التدرج به من المقدمة إلى النتيجة؛ مما يؤدي إلى استجابته لإيحاءات النص، وتسرب آثار تلك الإيحاءات إلى عقله وقلبه واستقرارها في نفسه.

والنص يحافظ على خيوط رابطة من العلاقات المنطقية، تشكل سداه ولحمته، وتمثل نسيجه الكلي مما يعني مزيدا من تملك مشاعر المتلقى وشد انتباهه إلى أن ينتهي به إلى آخر المطاف ويصل به إلى ذروة الموضوع، ونتيجة تلك المتتابعات المنطقية على نحو ما تبين في هذا الحديث: «لما خلق الله عز وجل الأرض، جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال، فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد، قالت: يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم النار، قالت: يارب هل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم، الماء، قالت: يارب: هل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح، قالت: يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله»[114]

والمنطقية واضحة جدا في حبكة القصة النبوية «من حيث اختيار نوعية الحدث أو الأحداث التي تصلح لبناء القصة، واتقان نسيجها من الداخل، واختيار المكان المناسب الذي يوضع فيه الحدث بالضبط وبكيفية معينة، هل يقدم أو يؤخر في سياق القصة، وكيف يتطور هذا الحدث، وما هي مبررات وجوده واستمراره، أو توقفه، وما نوع الصورة التي يبرز فيها، والمجرى الذي ينمو فيه من حيث البطء أو

(١١٣) السابق ٣/٢١٠.

(١١٤) المسند (صادر) ٣/١٢٤.

السرعة، وما يقف وراء الحدث من دوافع ومؤثرات تجعله يسير وفق نظام خاص، وطـريقـة مرسومة في التتابع والتراكم من أجل تحقيق الهدف المنبشود في عرض الفكرة أو الموضوع وفق طريقة قصصية تشوق الملتقي وتؤثر عليه. .»[١١٥]

ومن أبرز مظاهر حبكة القصة النبوية وجود مبررات الحواث، التي تؤكد على «السببية» لوجود الحدث أي أن الحدث في القصة التي يبدّعها الرسول صلى الله عليه وسلم لا يولـد دونما سبب أو مبرر «وهذا الجانب في الحبكة يراعي جانب الـذكـاء عنـد المتلقي، الذي لابد أن يسأل، لماذا حدث هذا؟ كما أن حضور الذاكرة هنا أمر حيوي من أجل فهم أكثر لأحداث القصة ومغزاها، ذلك أن فهم دوافع الحدث الحاضر أو مبرراته قد يكون مرتبطا بحدث مضى في سياق القصة، ولكي ندرك ذلـك ونـربـطه بهـذا الحدث نحتاج إلى الذاكرة التي تساعدنا على استيعاب الحاضر في ضوء الماضي، والقصة في البيان النبوي يجري فيها تتابع الأحداث على أساس من قانون الأسباب والنتائج، فالحدث حين يوجد له مايبرره»[١١٦]

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا[١١٧] من مثل قصة أصحاب الأخدود و (قصة الملك والساحر والراهب والغلام[١١٨] وقصة أصحاب الغار[١١٩]، وقصة (المقترض ألف دينار). . الخ[١٢٠]

٨ ـ استخدام المجاز:

المجاز أسلوب عربي استخدمه العرب في التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، وهو أن نقول شيئا ونعني شيئا آخر، أو أن نستعمل اللفظ في غير ماوضع له بسبب وجود

(١١٥) د. محمد بن حسن الزير: القصص في الحديث النبوي ص١٨٦.
(١١٦) السابق ص ١٩٠.
(١١٧) انظر القصص في الحديث النبوي.
(١١٨) انظر: صحيح مسلم ٤/٢٢٩٩.
(١١٩) انظر: المسند (شاكر) ٨/١٧٨ ـ ١٨٠.
(١٢٠) انظر: البخاري ٣/١٢٤ ـ ١٢٥.

علاقة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الذي وضع له اللفظ أصلا، فإن كانت العلاقة المشابهة فهي المجاز المسمى بالاستعارة، وإن كانت غير المشابهة فهو المجاز المسمى عند البلاغيين بالمجاز المرسل.

ولاشك في أن للمجاز أهميته الواضحة في تقوية الفكرة، وتعميق أثرها[١٢١] من خلال مايتضمنه هذا الأسلوب من تصوير للمعنى.

ومن أوضح وجوه الفن البياني في الحديث النبوي، الاستخدام الكثير لأساليب المجاز، واستثمارها في مهمة الإبلاغ والبيان وإيضاح المعاني الإسلامية وأفكارها ونقلها إلى عقول المتلقين وقلوبهم.

وظهور هذا الأسلوب في بيانه عليه السلام من آثار فصاحته وبلاغته المتمكنة من نفسه، والتي تهيأت لها أسبابها الكثيرة، وأثر لقصد الرسول لتوظيف إمكانات هذا الأسلوب في تحقيق الدعوة وحمل الرسالة إلى الناس من خلال الكلمة المؤثرة الفاعلة.

وقد لفت هذا الأسلوب الظاهر في الحديث النبوي نظر الشريف الرضي ودفعه لأن يخصه بكتاب مستقل أخلصه جميعه لبحث المجازات النبوية ودراستها. وقال عن هذا الكتاب في مقدمته «.. كتاب يشتمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، إذْ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة، ولمع البيان الغريبة، وأسرار اللغة اللطيفة، يعظم النفع باستنباط معادنها. واستخراج كوامنها، وإطلاعها من أكمتها وأكنانها، وتجريدها خِلَلَها وأجفانها... وعملتُ بتوفيق الله على تتبع ما في كلامه صلى الله عليه وسلم وعلى آله من ذلك، والإشارة منه إلى مواضع النكت ومواقع الغرض بالاعتبارات الوجيزة والإيماءات الخفيفة.»[١٢٢] وقد جمع في هذا الكتاب ثلاثمائة وواحدا وستين نصا نبوياً.

ومن أوضح أنواع المجاز في الحديث النبوي، الاستعارة، وهي استعمال اللفظ

---

(١٢١) انظر اليزابيث درو: الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ص٥٩ ـ ٦٠.

(١٢٢) المجازات النبوية بتحقيق د. طه محمد الزيني ص٩ ـ ١٠.

في غير ماوضع له لعلاقة المشابهة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي، كمثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبل أحد: «هذا جبل يحبنا ونحبه»[١٢٣]

وقد ساق الدكتور عز الدين على السيد هذا الحديث مثالاً على مافي الإستعارة من قدرة حيوية على نقل القيم النفسية، حيث «شبه فيها الجبل بالمحب بدلالة إثبات الفعل له وإسناده إليه. وهذا الإسناد هو الذي يسبح بالخيال تلك المسابح، ويذهب به يستبطن ماوراء العبارة لأنه بلفظ موح، بعيد الغور[١٢٤] وهو يخالف الشريف الرضي في عد هذا الحديث من قبيل المجاز المرسل[١٢٥] لعلاقة المجاورة أو المحلية، لأن التعبير في هذه الحالة يفقد الذخيرة من المدلول النفسي الذي يتحقق مع الاستعارة[١٢٦]

ومن أمثلة الاستعارة في الحديث التي ساقها الشريف الرضي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «وستجدون آخرين للشيطان في رؤسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف[١٢٧] ويعلق عليها بقوله: «وهذه من الاستعارات العجيبة، والمجازات اللطيفة. وذلك أن من كلام العرب أن يقول القائل منهم إذا أراد أن يصف إنسانا بشدة الارتكاس في غيه والارتكاتض في عنان بغيه قد فرخ الشيطان في رأسه أو قد عشش في قلبه، فذهب عليه الصلاة والسلام إلى ذلك الوضع وبنى على ذلك الأصل. فقال: للشيطان في رؤسهم مفاحص والمفحص في الأصل الموضع الذي تبحثه القطاة لتجثم عليه أو لتبيض فيه[١٢٨]. وإنما قيل له مفحص لأنها لا تجثم فيه إلا بعد أن تفحص التراب عنه توطئه لمجثمها وتمهيدا لجسمها. ويقال مابقي

---

(١٢٣) تيسير الوصول ٣/ ٢٨٠.

(١٢٤) د. عز الدين على السيد، الحديث النبوي.. ص١٦٧.

(١٢٥) المجازات النبوية ص١٥ - ١٦.

(١٢٦) انظر: د. عز الدين على السيد؛ الحديث النبوي.. ص١٦٧.

(١٢٧) المجازات النبوية ص٥٥.

(١٢٨) علق المحقق بقوله: «ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة».

لفلان مفحص قطاة إذا لم يبق له ربع يزويه ولا جريء[١٢٩] يكون فيه. فيحتمل قوله عليه الصلاة والسلام للشيطان في رؤسهم مفاحص أحد معنيين: أحدهما أن يكون أراد أن الشيطان قد بدأ يختدعهم، ويغرهم، ويستهويهم ويضلهم. ولم يبلغ من ذلك غايته. ولا استوعب خديعته كالقطاة التي بدأت باتخاذ المفحص لتبيض فيه، وترتيب فراخها فيه[١٣٠].

والمعنى الآخر: أن يكون أراد أن الشيطان قد استوطن رؤوسهم[١٣١]، فجعلها له مقيلا، ومبركا، وملعبا، ومتمعكا[١٣٢] كما تتخذ القطاة مفحصا لتأوي إليه، وتستجن فيه[١٣٣]» والمعنى الثاني هو المقصود وهو الأولى[١٣٤].

ومن أنواع المجاز أيضا المجاز المرسل الذي تكون العلاقة فيه غير المشابهة[١٣٥]، وفي الحديث منه نماذج رائعة من مثل قوله عليه السلام: «اليد العليا خير من اليد السفلى..»[١٣٦] وقد تم التعبير بالجزء وهو اليد وأريد الكل وهو صاحبها[١٣٧].

ومن أنواع المجاز كذلك المجاز العقلي، وهو متعلق بالإسناد حيث يسند الفعل

---

(١٢٩) الجرىء: بيت يصطاد الصيادون فيه السباع.

(١٣٠) انظر: د. عز الدين على السيد: الحديث النبوي. ص٢١٧ - ٢٢٩.

(١٣١) المجازات النبوية ص١٦٦.

(١٣٢) المتمعك: المكان الذي يتمرغ فيه الحيوان.

(١٣٣) السابق ص ٥٥ - ٥٦.

(١٣٤) انظر تعليق المحقق (في الهامش) المجازات النبوية ص٥٦. وجاء فيه: «وفي الحديث استعارة تصريحية، حيث شبه المعلومات الزائفة، والعقائد الفاسدة التي بثها الشيطان في عقولهم بعش الطائر المعد لإقامته فيه».

(١٣٥) انظر: د. عز الدين على السيد: الحديث النبوي.. ص١٨٧ وما بعدها.

(١٣٦) المجازات النبوية ص٣٥.

(١٣٧) أنظر أسئلة كثيرة في المجازات النبوية وفي الحديث النبوي للدكتور عز الدين على السيد ص ١٨٧ - ٢٠٤. وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٢٨٤.

وما في معناه إلى ملابس له غير ماهو له في الواقع، ويراه بعض البيانيين داخلا في الاستعارة[١٣٨]. ومن أمثلة ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«أخاف أن تصف حجم عظامها»[١٣٩] فقد أسند الفعل وهو الوصف إلى الضمير العائد إلى الثوب والأصل إسناده إلى الإنسان.. إلخ.

٩ ـ التصوير:

يشكل التصوير البياني ظاهرة واضحة في الحديث النبوي، ويمثل ملمحا مهما في بيان الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا مظهر طبيعي لبلاغة النبي، واقتفائه لآثار القرآن الكريم، واستمداد طريقته في البيان والتصوير.

ولا عجب في ذلك وبخاصة حين نستحضر ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من فصاحة وبلاغة، وحين نستحضر حرصه على البيان لرسالته، والإبلاغ بدعوته، وحرصه على هداية الناس وإرشادهم والتأثير عليهم ليأخذوا بهذا الدين ويؤمنوا بما جاء به من عقائد ومعان وقيم وأخلاق، وحرصه تبعا على استخدام أرقى الأساليب البيانية وأجملها، وأكثرها تأثيرا في نفوس المتلقين.

والصور البيانية ذات وظيفة حيوية في تمثيل الأشياء والأفكار والمعاني المجردة وتجسيدها في عقل السامع أو القارىء وقلبه من خلال تمكنه من تمثل تلك الصور والمشاهد بسبب الخيال ونشاطه الحيوي الذي ينبعث من الصور المرئية وتفاعلها مع عقل المتلقي ووجدانه بسبب اللغة التي تمثل الوسيط المشترك بين الأديب والملتقي.

وقد شاع في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أساليب متعددة للتصوير،

(١٣٨) انظر د. عز الدين على السيد: الحديث النبوي.. ص ٢١٧ ـ ٢١٩.

(١٣٩) المجازات النبوية ص ١٦٦.

وعناصر متنوعة تشكل مقومات التصوير في بيانه الشريف[١٤٠]، ويمكن إجمال الكلام على أساليب التصوير على النحو الآتي :

١ ـ الاستعارة :

وهو نوع من أنواع المجاز[١٤١] التي يكثر استخدامها في الحديث؛ لما تؤديه من تصوير للمعاني وتمثيلها وقد أورد أبوهلال العسكري[١٤٢] طائفة من الاستعارات في كلام النبي صلى الله عليه وسلم من مثل قوله : «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة[١٤٣]» وقوله : «كلما سمع هيعة طار إليها»[١٤٤] وقوله : «أكثروا من ذكر هادم اللذات»[١٤٥] وقوله : «البلاء موكل بالمنطق»[١٤٦]

وقال ابن الأثير «ومما ورد من الاستعارة في الأخبار النبوية قول النبي صلى الله عليه وسلم : «لا تستضيئوا بنار المشركين» فاستعار النار للرأي والمشورة : أي لا تهتدوا برأي المشركين، ولا تأخذوا بمشورتهم»[١٤٧]

وذكر أيضا في حديثه عن المجاز قول النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم حنين : «الآن حمي الوطيس»[١٤٨] والوطيس هو التنّور الذي توقد فيه النار وتستعر، ولاشك

---

(١٤٠) ينبغي أن نشير إلى أن مفهوم الصورة الجديدة يتسع ليتجاوز المفهوم البلاغي للصورة الذي يقف فقط عند الاستعارة والتشبيه، وليشمل الصورة الذهنية والنمطية وليشمل الصورة بشكل عام؛ من حيث هي تشكيل لغوي يشكل المجاز جزءا منه.

(١٤١) انظر: استخدام المجاز من هذا البحث.

(١٤٢) كتاب الصناعتين. . ص ٢٨٤ .

(١٤٣) المجازات النبوية ص ٥٢ .

(١٤٤) كتاب الصناعتين ص ٢٨٤ .

(١٤٥) المجازات النبوية ص ٤٠٣ .

(١٤٦) كتاب الصناعتين ص ٢٨٤ .

(١٤٧) المثل السائر ٢/١٠٣ وانظر أيضاً: ١/١١٧ .

(١٤٨) السابق ١/١١٧ قال: «وهذا لم يسمع من أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم» وانظر: المجازات النبوية ص٤٥ ـ ٤٧ .

في أن التعبير «حمي الـوطيس» أجمل وأكثر تصويرا لاحتدام الحرب من قولنا، استمرت الحرب[١٤٩]، واشتدت أو نحو ذلك.

ومن الاستعارات أيضا في بيان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: «فإذا طلع حاجب الشمس فلا تصلوا. . .»[١٥٠] وقوله: «ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل»[١٥١] وقوله لمعاذ بن جبل: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه[١٥٢]؟ قال: بلى يا رسول الله، فقال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»[١٥٣]

٢ ـ التشبيه

يعـد التشبيه من أهم أركـان التصـوير الأدبي، لمـا فيه من تمثيل للمعـاني وتـوضيحها، وهذا الأسلوب يحتل في أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم مكانة واسعة، مما يعني أن أدب الحديث النبوي قد أضاف إلى اللغة الأدبية في البيان العربي صورًا جميلة وتشبيهات رائعة أبدعها الرسول صلى الله عليه وسلم خلال حياته التي أمضاها محدثا داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا بأفعاله الحسنة وأقواله البليغة.

ومن أمثلة التشبيه النبوي قوله عليه الصلاة والسلام في معرض تحذيره من رذيلة الحسد: «إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[١٥٤]

وحينما يتحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن عتقاء الله من النار، الذين يأمر الله بهم فيخرجون من النار، وعن نباتهم وقد أدخلوا نهر الحياة، يختار عليه السلام

---

(١٤٩) انظر ابن الاثير، المثل السائر ١/١١٧.

(١٥٠) المجازات النبوية ص ٣٧٤.

(١٥١) السابق ص ٤١٩.

(١٥٢) السابق ص ٤٢١ وانظر تعليق الرضي على الحديث.

(١٥٣) سنن ابن ماجه ٢/١٤٠٧.

(١٥٤) سنن الدارمي ١/٣١ـ٣٢.

تشبيها يقرب صورتهم ويوضحها للمتلقى في قوله: «. . فيدخلون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في غثاء السيل»[١٥٥] وفي حديث آخر يتكرر التشبيه مع شيء من التفصيل والاقتران بتشبيهات أخرى تساعد في توضيح الصورة «. . فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا[١٥٥]، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة، إلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ. .»[١٥٦] وفي هذا الحديث أيضا تشبه جهنم وهي تعرض بالسراب: «. . ثم يؤتي بجهنم تعرض كأنها سراب. .»

ومن ألوان التشبيه في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التشبيه المركب الذي «تشبه فيه الأحوال والهيئات بما هي له شبه ليتقرر أمر الأولى بقياسها على الأخرى[١٥٧] وهذا اللون أيضا كثير جدا في الحديث النبوي ومن أمثلة ذلك مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، فقد اختار النبي عليه السلام تشبيها عجيبا موفقا رسم من خلاله صورة رائعة في حيويتها وتعبيرها الفائق، تجسيدها للعلاقة بين الفرد والمجتمع. وبخاصة في مجال تأثر المجتمع بسلوك أفراده، وتبين هذه الصورة أن حرية الفرد يجب أن يكون لها حد تنتهي عنده: «مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهوا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها يصعدون ويستقون الماء فيصبون على الذين في أعلاها، فقال الذين في أعلاها، لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقال الذين في أسفلها، فإننا ننقبها من أسفلها فنستقي، فإن أخذوا على أيديهم، فمنعوهم نجوا جميعا، وإن تركوهم غرقوا جميعا»[١٥٨].

---

(١٥٥) المحش: قشر الجلد من اللحم.

(١٥٦) صحيح البخاري ٩/١٥٨ - ١٦٠.

(١٥٧) د. عز الدين على السيد: الحديث النبوي. . ص ١٧٧.

(١٥٨) سنن الترمذي ٤/٤٧٠. وأنظر تعليقا حسنا على هذا الحديث للشيخ محمد قطب في كتابه: قبسات من الرسول (صلى الله عليه وسلم) ص١٧٦.

والتشبيهـات من هذا القبيل كثيرة جدا في هذا الحـديث ولا يتسـع المقـام للاسترسال في الاستشهاد بنماذج منها[١٥٩]. وقد هدف الرسول صلى الله عليه وسلم من استخدامها أن يصور بها مجموعة من القضايا الكلية والحقائق العقلية المجردة، وأن يجليها ويوضح أبعادها، وأن يعمق الإحساس بها في النفوس.

٣ ـ الكناية :

من أساليب التصوير في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب التصوير بالكناية، وهو أسلوب عربي سلكه العرب في بيانهم واستخدمه القرآن الكريم، وعـرفـه دارسـو البـلاغة بأنه اللفظ الذي أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه الأصلي[١٦٠]. وهو أسلوب طريف جميل، لما فيه من التصوير للمعنى والإقناع به، من خلال الانتقال من الملزوم إلى اللازم، إضافة إلى مافيه من فضيلة الإيجاز أيضا.

ومن الكنايات النبوية الجميلة المهذبة. قوله عليه السلام : «من كشف قناع إمرأة وجب لها المهر»[١٦١] وقوله : «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنـة»[١٦٢] وقوله : «ورجل قلبه معلق في المساجد. . . ورجل دعته إمرأة ذات منصب وجمـال فقـال : إني أخـاف الله»[١٦٣] وقـوله : «خياركم ألينكم مناكب في الصلاة[١٦٤]» إلى غير ذلك من الكنايات الجميلة التي يزخر بها حديث رسول الله

---

(١٥٩) انـظر: (مثل المسلمين واليهود والنصارى) صحيح البخاري ١٨٣/٣، و(مثل الرسول (صلى الله عليه وسلم في النبيين) سنن التـرمـذي ٥٨٦/٥، و(مثل الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومثل أمته) المسند (تحقيق شاكر) ١٢٩/٤، (ومثله ومثل ما جاء به من الدين) صحيح البخاري ١٢٦/٨، و(مثل البخيل والمنفق) صحيح البخاري ١٤٣/١.

(١٦٠) انظر : متن التلخيص بشرح مقدمة البرقوقي ص ٣٣٣.

(١٦١) الكنايات للجرجاني ص٦.

(١٦٢) فتح الباري ٣٠٨/١١.

(١٦٣) سنن الترمذي ٦٣٨/٤.

(١٦٤) تيسر الوصول ٢٥٥/٢.

صلى الله عليه وسلم والتي تحتاج إلى مزيد من البحث والتفصيل والتحليل، لمزيد من الكشف عن مواطن البيان والجمال فيها ولكن المقام هنا لا يسمح بمثل هذا التفصيل.

٤ ـ الوصـــف :

يمثـل الـوصف أداة من أدوات التصوير البياني، أداة تعبر عن الصورة الكلية العـامة التي تشمل في إطارها العام ألوانا مختلفة من الصور الجزئية التي يندرج تحتها أساليب الاستعارة والتشبيهات والكنايات وغيرها من القصص والحوار وغير ذلك، والوصف عنصر في البناء اللغوي للأدب، يؤدي وظيفة حيوية في تصوير الأحداث والمعاني والمواقف، ورسمها بيانيا لتحدث أثرها الفاعل في المتلقي، «والأوصاف فوق ما تقوم به من تحديد الصور وملء إطارها بما يمنحها التكامل في الشكل، والنمو في الحركة هي فوق ذلك ذات أغراض ثانوية في التأثير»[١٦٥] من مثل ما نلقاه في حديث «مدينة الذهب والفضة» ومما جاء في الحديث: «. . فتلقانا رجل شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كاقبح ما أنت راء. . الخ»[١٦٦]

«فهذا الوصف يوحي للسامعين بجو غامض عجيب ينشأ من هذا التقابل في الأوصـاف بين الحسن والقبيح، وفي الشخص الـواحـد. . وفي قصـة «شفـاعة المؤمنين» وعنـد عرض صورة الصـراط وقـد وضـع بين ظهـري جهنم، والأنبياء بناحيتيه، نجد الأوصاف تختار بشكل يهدف إلى التأثير على المستمعين من خلال النعوت المثيرة، الباعثة على الرهبة والخوف، جاء في القصة: «. . . ثم يوضع الصراط بين ظهري جهنم والأنبياء بناحيتيه قولهم: اللهم سلم سلم، اللهم سلم سلم، وإنه لدحض مزلة، وإنه لكلاليب وخطاطيف. (قال عبدالرحمن: ولا أدري لعله قال: تخطف الناس وحسكة تنبت بنجد يقال لها السعدان قال: ونعتها لهم) قال: فأكون أنا وأمتي لأول من مر أو أول من يجيز، قال: فيمرون عليه مثل البرق،

---

(١٦٥) د. محمد بن حسن الزير: القصص في الحديث النبوي. . ص ١٧٨.

(١٦٦) صحيح البخاري ٨٧/٩.

ومثل الريح، ومثل أجاويد الخيل، والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مكلم، ومكدوس في النار.. الخ[١٦٧]» فالوصف له جوانب إيجابية في التأثير والإيحاء..»[١٦٨]

والأحاديث زاخرة بالأوصاف التصويرية لأحوال الناس في الدنيا وفي الآخرة، ولأحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار، أوصاف بارعة دقيقة موحية، ولا مجال هنا للاستطراد في ذكر الأمثلة..[١٦٩]

ولا ينبغي أن نغادر مبحث التصوير في بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن نشير إلى أنواع التصوير في هذا البيان الشريف، ويمكن أن نلمح إلى إبرز هذه الأنواع فيما يأتي:

(أ) تصوير المعاني المجردة:

فعندما يثير النبي صلى الله عليه وسلم معنى من المعاني الذهنية المجردة فإنه لا يعرضها عرضا ذهنيا تقريريا وإنما يضرب لها مثالا تصويريا يمثلها ويجسدها لتتضح في القلب والعقل، على نحو مانجد في حديث فرح الله بتوبة العبد حين يتوب فهذا المعنى التقريري يصوره النبي للمتلقي في صورة قصصية جميلة معبرة تنطبع في العقل والشعور، جاء في الحديث: «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم، كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرخ»[١٧٠]

---

(١٦٧) المسند (صادر) ٣/١٦ ـ ١٧، وانظر وصفا للصراط مثل هذا في حديث (هل نرى ربنا؟) صحيح البخاري ٩/١٥٨ ـ ١٦٠.

(١٦٨) د. محمد بن حسن الزير: القصص في الحديث النبوي.. ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(١٦٩) انظر دواوين السنة وكتب الحديث.

(١٧٠) صحيح مسلم ٤/٢١٠٤.

ب ـ تصوير المشاهد والحركة والمواقف:

وهذا نوع كثيرا جدا في الأحاديث النبوية، التي تعرض علينا المشاهد والمواقف في صورة حية، وكأنها ماثلة للعيان ومن الأمثلة على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ماشأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: كنت أمركم بالمعروف ولا أتيه. وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[١٧١].

وجاء في حديث عن الجنة والنار، هذه الصورة الدالة على الحركة: «قال: أذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضا..»[١٧٢]

«فالتعبير هنا عن حركة النار وألسنة اللهب فيها تمتد يمينا ويسارا، وتعلو وتسفل، التعبير عن هذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «يركب بعضها بعضا» تعبير في غاية الروعة التصويرية والجمال الآسر، وهي لقطة موفقة في نقل حركة النار وتلهبها..»[١٧٣]

ج ـ تصوير العواطف والانفعالات:

ويقوم الحديث الشريف بإبراز العواطف والانفعالات في صور بيانية من خلال سلوك الشخصيات ومواقفها في القصص التي يعرضها الحديث النبوي من خلال موقف الشخصية وتصرفها وما يدور في داخلها من مشاعر كما نجد مثلا في حديث «أصحاب الأخدود» حيث يقوم الحديث بتصوير ما يدور داخل الغلام من قلق نفسي وهم يثقل كاهله وهو يتردد على كل من الساحر والراهب، حين وجد دابة قد

---

(١٧١) صحيح البخاري ٤/١٤٧.

(١٧٢) سنن الترمذي ٤/٦٩٣ ـ ٦٩٤.

(١٧٣) د. محمد بن حسن الزير؛ القصص في الحديث النبوي.. ص١٧٠.

سدت الطريق على الناس فحبستهم: «. . فبينما هو كذلك إذ أتي على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضي الناس. . الخ[١٧٤]، وانظر تصويرا لعاطفتي «اليأس» و«الفرح» في حديث الذي فقد راحلته[١٧٥].

د ـ تصوير الشخصيات :

فالحديث يقدم ألوانا من الشخصيات البشرية، ويصورها لنا من خلال سلوكها وما جبلت عليه من صفات وطبائع كما نجد في حديث[١٧٦] «جرة الذهب» يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): «اشترى رجل من رجل عقارا له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب. فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب وقال الذي له الأرض: إنما ابتعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام. وقال الآخر: لي جارية: قال: انكحوا الغلام الجارية، وانفقوا على أنفسهما منه وتصدقا»[١٧٧] فهذا الحوار بين الرجلين يصور لنا نوعية الشخصية لكل منهما ويبين لنا ما هي عليه من الورع والأمانة. حيطة من الوقوع في الشبهات. . والأمثلة كثيرة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من نحو مانجد في حديث الثلاثة «الأبرص والأقرع والأعمي»[١٧٨] حيث يصور لنا الشخصية الجاحدة المكابرة المتبجحة التي تتمثل في كل من الأبرص والأقرع

---

(١٧٤) صحيح مسلم ٤/٢٢١٩ ـ ٢٣٠١.

(١٧٥) السابق ٤/٢١٠٤.

(١٧٦) صحيح البخاري ٤/٢١٢ وصحيح مسلم ٣/١٣٤٥.

(١٧٧) صحيح البخاري ٤/٢١٢ وصحيح مسلم ٣/١٣٤٥.

(١٧٨) انظر الحديث في صحيح البخاري ٤/٢٠٨ ـ ٢٠٩ وصحيح مسلم ٤/٢٢٧٥ ـ ٢٢٧٧، وانظر أمثلة أخرى في حديث أصحاب الأخدود في صحيح مسلم ٤/٢٢٩٩ ـ ٢٣٠١، وموسى والخضر في صحيح البخاري ٦/١١٠ ـ ١١٢ وحديث الصراط في صحيح البخاري ١/٢٠٤ ـ ٢٠٥، وآخر رجل يدخل الجنة صحيح مسلم ١/١٧٤ ـ ١٧٥.

وكـذلـك يصور الحديث الشخصية المعترفة بالنعمة متمثلة في «الأعمى» الذي اعترف بما كان عليه في السابق من فقر وعمى، وبما آلت إليه حاله من حصول نعمة الإبصار وما أفاء الله عليه من غنى..

١٠ ـ استخدام الفن القصصي:[١٧٩]

من أهم وأبـرز الملامح الفنية في الحديث النبوي الشريف، استخدام الفن القصصي، وقد جاء الحديث زاخرا بالنصوص القصصية، وقد أتيح لي في دراسة سابقة للقصص في الحديث النبوي أن جمعت من تسعة مصادر فقط من أمهات كتب الحديث الكبرى[١٨٠] مائة وتسعة وثلاثين نصا قصصيا.

وقد كشف تلك النصوص عن مدى احتفال الرسول صلى الله عليه وسلم البالغ بالبناء الفني لهذه القصص واهتمامه بتحقق البنية القصصية العامة فيها. جاءت تلك القصص على صورة سوية من الإبداع القصصي بحيث يتحقق فيها الهيكل العام للقصة[١٨١]، والنسيج المتلاحم[١٨٢]، والعناصر الفنية[١٨٣].

ويقوم الهيكل العام للقصة النبوية في الأغلب الأعم على ثلاث دعائم تشكل إطارها الذي يحدد شكلها القصصي، ونستطيع القول بأن هذه الدعائم تتمثل في البـداية والوسط والنهاية وهي مراحل لا تكاد تتخلف في أكثر النصوص التي تم جمعها وهي بالضرورة متحققة فيما تم دراسته من نصوص.

وهذه التركيبة الهيكلية قائمة على أساس من الترابط العضوي الذي يشد بعضها

---

(١٧٩) انظر د. محمد بن حسن الزير: القصص في الحديث النبوي ـ دراسة فنية وموضوعية. الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. (رسالة قدمت لقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في جامعة القاهرة للحصول على درجة الماجستير).

(١٨٠) هي صحيح البخـاري ومسلم والجامع الصحيح للترمذي وسنن النسائي وأبي داود وابن ماجه والدارمي والموطأ ومسند الإمام أحمد.

(١٨١) انظر الفصل الأول (البنية العامة للقصة النبوية) من القصص في الحديث النبوي ص ٨٧ ـ ١٦٠.

(١٨٢) انظر الفصل الثاني (البناء والنسيج) من القصص في الحديث النبوي ص ١٦١ ـ ٢٢٨.

(١٨٣) انظر الفصل الثالث (العناصر الفنية) من القصص في الحديث النبوي ص ٢٢٩ ـ ٣٢٩.

إلى بعض، بحيث يحس قارىء القصة بأن هناك خيوطا منظورة وغير منظورة تؤدي وظيفتها في تحقيق التلاحم بين دعائم الهيكل الثلاث.

وقد قام نسيج القصة بوظيفته في تحقيق التشابك والترابط لبناء القصة، فالأسلوب بكل مظاهره والحبكة بسائر عناصرها، والمشكلة بما تحمله من تعقيد وصراع، وعناصر القصة الفنية الأخرى من شخصيات وأحداث وحوار، كل ذلك يقوم على خدمة الحدث أو الأحداث ودفع حركة القصة إلى النمو والاكتمال.

والنصوص القصصية التي تمت دراستها تحتوي على العناصر الفنية القصصية من شخصية وحدث بصورة ظاهرة، وتستخدم بشكل يحقق البناء الفني. ونجد الشخصيات في القصة من حيث ذاتها تتنوع إلى مايلي:

(أ) **شخصيات بشرية:**

١ ـ أنبياء ٢ ـ رجال ونساء عاديون ٣ ـ جماعات وجماهير.

(ب) ـ **شخصيات غير بشرية:**

١ ـ الملائكة ٢ ـ حيوانات وطيور وجمادات ٣ ـ الجن ٤ ـ الشيطان ٥ ـ شخصيات معنوية، (العمل الصالح، العمل الطالح، الموت).

كما تتنوع الشخصية من حيث تكوينها إلى مايلي:

١ ـ شخصيات مسطحة ٢ ـ وشخصيات نامية.

وأما الحدث في القصة النبوية فهو روحها وقد اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بالحدث، لأهمية الحدث في بناء القصة من ناحية، ولأهمية الحدث ذاته في البيئة العربية، ولما له من تأثير في المتلقين.

كما أن الحوار عنصر مهم في بناء القصة النبوية، ونجده ينتشر في معظمها، وهو يبرز من خلال المواقف في القصة، وله عدة وظائف فيها، حيث يساعد في رسم الشخصية وتطوير الأحداث وتعميقها. كما يساعد على تصوير مواقف معينة، ويخفف من رتابة السرد، ويكشف أحيانا مغزى القصة هذا إلى جانب ما يضفيه على القصة من واقعية.

والقصة في الحديث النبوي ثلاثة أنواع :[١٨٤]

١ ـ القصة الواقعية للرسول صلى الله عليه وسلم ، منها تجارب ذاتية وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم ومنها قصص وقعت في المنام .

٢ ـ القصة التمثيلية التي يسوقها الرسول صلى الله عليه وسلم لتوضيح قضايا كلية أو حقائق ذهنية مجردة .

٣ ـ القصة الغيبية وهي عدة أنواع :

(أ) القصة التاريخية (وهي تعرض في سياق أدبي يصور الحدث التاريخي في صياغة فنية مؤثرة) .

(ب) قصص المستقبل (عن أحداث تقع في نهاية الزمان) .

(ج) قصص البعث واليوم الآخر.

(د) قصص من عالم الغيب (تتحدث عن أمور غيبية خاصة تحدث في الواقع غير المنظور للإنسان) .

وموضوعات القصة[١٨٥] في الحديث من النوع الذي يثير في القارىء كثيرا من الانفعالات ، ولها تأثيرها في طريقة الأداء القصصي ، ولها عمقها وغناها :

١ ـ في العقيدة

٢ ـ الرسول والنبوة .

٣ ـ القيم الإسلامية .

٤ ـ في الإنسان (نظرة واقعية حيث تصور الإنسان بما فيه من خير وشر وقوة وضعف) .

٥ ـ في الحياة والموت .

٦ ـ إرهاصات الساعة .

٧ ـ البعث والجزاء .

---

(١٨٤) انظر الفصل الرابع (أنواع القصة) من القصص في الحديث ص ٣٣١ ـ ٣٧٢.

(١٨٥) انظر : الفصل الخامس (موضوعات القصة) من بحث القصص في الحديث. . ص٣٧٢ ـ ٤٢٣ .

وقد التزمت القصة النبوية بالغرض الديني[١٨٦] وقد نشأ عن ذلك آثار فنية من مثل ما يأتي :

١ ـ الإلحاح على المادة القصصية الواحدة بتكرارها .

٢ ـ الاكتفاء في عرض القصة بما يحقق الغرض .

٣ ـ بث التوجيهات الدينية في سياق القصة . وقد تمثلت أغراض القصة فيمايلي :

١ ـ الغرض الأسمي هو الدعوة الإسلامية .

٢ ـ أغراض أساسية أخرى تخدم الغرض الأسمى :

(أ) التربية وبدت في عدة وسائل :

١ ـ التعليم ٢ ـ الترغيب والترهيب ٣ ـ الموعظة ٤ ـ التوبة .

(ب) التسرية عن المسلمين .

والمجال هنا لا يسمح بسرد نماذج قصصية ولكن اكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الأمثلة مشيرا إلى مصادرها للرجوع إليها في مظانها[١٨٧] على النحو الآتي :

١ ـ قصة شق الصدر، سنن الدارمي ١/١٧ .

٢ ـ قصة المعراج، صحيح البخاري ٥/٦٦ ـ ٦٩ .

٣ ـ قصة لمن هذا القصر؟ سنن الترمذي ٥/٦٢٠ .

٤ ـ قصة فاقد الراحلة، صحيح مسلم ٤/٢١٠٤ .

٥ ـ قصة المستأجر والأجراء، صحيح البخاري ٣/١١٨ ـ ١١٩ .

٦ ـ قصة النذير العريان، صحيح البخاري ٨/١٢٦ .

٧ ـ قصة سارة والملك صحيح البخاري ٣/١٠٥ ـ ١٠٦ .

٨ ـ قصة جريح، المسند (شاكر) ١٥/٢٠٩ البخاري ٤/٢٠١ ـ ٢٠٢ .

٩ ـ قصة (الثلاثة المبتلون) صحيح البخاري ٤/٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

١٠ ـ قصة الغار والصخرة، المسند (صادر) ٤/٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، صحيح البخاري ٣/١٠٤ ـ ١٠٥ .

---

(١٨٦) انظر : الفصل السادس (أغراض القصة) من بحث القصص في الحديث . . ص٤٢٥ ـ ٤٦٠ .

(١٨٧) انظر دليلا شاملا للنصوص القصصية في بحث القصص في الحديث . . ص٤٨٥ ـ ٤٩٩ .

١١ ـ قصة قاتل المائة، صحيح مسلم ٤/٢١١٨.
١٢ ـ قصة أصحاب الأخدود، صحيح مسلم ٤/٢٢٩٩ ـ ٢٣٠١.
١٣ ـ قصة الماشطة، سنن ابن ماجه ٢/١٢٢٧ ـ ١٣٢٨.
١٤ ـ قصة المؤمن والدجال، صحيح مسلم ٤/٢٢٥٦.
١٥ ـ قصة أمتي يارب صحيح البخاري ٦/١٠٥ ـ ١٠٧.
١٦ ـ قصة الصراط، صحيح البخاري ١/٢٠٤ ـ ٢٠٥.
١٧ ـ قصة سوق الجنة سنن الترمذي ٤/٦٨٥ ـ ٦٨٦.
١٨ ـ قصة البطاقة، سنن ابن ماجه ٢/١٤٣٧.
١٩ ـ قصة الأسئلة الثلاثة، المسند (صادر) ٤/٢٩٥ ـ ٢٩٦.
٢٠ ـ قصة الاحتضار، سنن ابن ماجه ٢/١٤٢٢ ـ ١٤٢٤.

١١ ـ الموسيقية اللغوية:

إن اللغة ظاهرة صوتية، وهي إنعكاس لإحساس الإنسان ومشاعره وأفكاره، والإنسان خلق في أحسن تقويم، وكلما كان الإنسان في أحسن حالاته شعورًا وفكرًا، أو بعبارة أخرى أكثر اكتمالاً في تمثّل تجربته الشعورية، يكون تعبيره اللغوي عن ذلك في أحسن حالاته من حيث الإيقاع الجميل المتوازن. المتلائم، وهذا أثر من آثار الفطرة في نفسه.

والموسيقية أو التلاؤم أثر في الأساليب الأدبية من هذه الطبيعة في الإنسان ولغته: و «جمال العبارة وجلال الأسلوب من الصفات المشتركة في الناس، تتفق في الوجود والمظهر وتختلف في الطاقة والدرجة، فالعامة يستعملون الوزن والسجع والجناس متى جاشت في صدورهم عاطفة أو جرت على السنتهم حكمة، فمواويلهم وأناشيدهم وأغانيهم موزونة أو موقعة، وأمثالهم وحكمهم وضوابطهم مزدوجة أو مسجعة. . . إن جمال اللفظ وطلاوة التعبير تابعان لقوة العاطفة وجلالة الموضوع. . .

«فالمتهم يتهم بالسجع، والمدافع يدافع بالسجع، والقاضي يحكم بالسجع.

«والأصل في سجع الكهان الجاهليين هو ذلك السمو الذي كان يحسه الكاهن في نفسه وفي مقامه، فقد كان كهان العرب ككهان الإغريق يزعمون أنهم مهبط الإلهام وأنجياء الأرباب، فكانوا يسترحمونهم بالأناشيد، ويستلهمونهم بالأدعية، ويخبرون الناس بأسرار الغيب (المزعوم) في جمل مختارة الألفاظ مسجوعة الفواصل لتكون أسمى من كلام الناس وأجدر بصدورها عن الآلهة.

«أريد أن أقول إن توخي الجمال المطبوع في الأسلوب أصل في طبائع الناس أمتد منها إلى تكوين اللغة وإنشاء الأدب. فإذا سلمت في المنشيء الفطرة وواتته الملكة وساعده الإطلاع، وكان قد تضلع من علوم اللسان وأحاط بأسرار اللغة، صدر عنه الكلام رقيقا من غير قصد، أنيقا من غير كلفة»[١٨٨]

ولما كان القرآن الكريم هو أبلغ صور اللغة في التعبير الكامل، وجدناه تأليفا صوتيا جميلا «يكاد يكون موسيقيا محضا، في التراكيب والتناسب بين أجراس الحروف والملائمة بين طبيعة المعنى وطبيعة الصوت الذي يؤديه... فكان مما لابد منه بالضرورة أن يكون ذلك التأليف أظهر الوجوه التي نزل عليها، ثم أن تتعدد فيه مناحي هذا التأليف تعددا يكافيء الفروع اللسانية التي سبقت بها فطرة اللغة في العرب، حتى يستطيع كل عربي أن يوقع بأحرفه وكلماته على لحنه الفطري ولهجة قومه، توقيعا يطلق من نفسه الأصوات الموسيقية التي يشع بها الطرب في هذه النفس، بما يسمونه في لغة العرب بيانا وفصاحة وهو في لغة الحقيقة الموسيقى اللغوية»[١٨٩]

ومن هنا يكون الإيقاع الصوتي المنظم، الذي يحافظ على التناسب مع الإيقاع الداخلي لحركة المعنى في النفس. هو هذه الموسيقى اللغوية الجميلة، التي تصور المعنى في إطار لغوي أخاذ مشرق.

---

(١٨٨) أحمد حسن الزيات: دفاع عن البلاغة ص ١١٦، ١١٧، ١٢٠، ١٢١.

(١٨٩) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب ٢/٤٦ - ٤٧.

والموسيقى ليست خصيصة الشعر وحده، فالنثر بحكم أنه مظهر لغوي له أيضاً هذه الطبيعة الموسيقية. بل إن موسيقي النثر في النثر من أهم وأبرز مظاهر الجودة فيه[١٩٠].

ولقد كانت هذه الموسيقية اللغوية في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى الخصائص الفنية الواضحة فيه، وهذا أمر ظاهر، بسبب تمكن فطرته اللغوية من جهة وبسبب تأثره بأدبية القرآن الكريم ذات المقام الأعلى في فن الكلام وبيانه، وبسبب ذلك أيضاً جاءت تلك الموسيقية اللغوية في بيانه الشريف على صورة مكتملة النموذج، متفردة الطراز.

ثم يضاف إلى ذلك توهج التجربة العاطفية، وتوازنها في النفس والفكر لدى الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب تجربة الإسلام في نفسه الشريفة.

والدارس لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكن أن يحدد معالم هذه الموسيقية اللغوية في مظاهر عدة على النحو الآتي:

١ ـ موسيقى الألفاظ:

الألفاظ في الحديث تجيء مطابقة لفكرتها، مؤدية بجرسها ذاته للمعنى، يتحقق في صوتها التلاؤم المطلوب للمعنى المراد التعبير عنه، وهذا كثير في بيان الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك مثلا لفظة «يتعتع» في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران[١٩١] فلا أدل من كلمة «يتعتع» هنا على تصوير ثقل النطق وتحمل المشقة في قراءة الكلمة. ومثل ذلك كلمة «يغرغر» التي تحكي صوت حشرجة الموت في الحنجرة، التي وردت في الحديث: «إن الله عزو وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر[١٩٢]. . الخ.

(١٩٠) انظر: د. محمد رجب البيومي: البيان النبوي ص ٢٤٩.

(١٩١) تيسير الوصول ١/٨٦.

(١٩٢) رياض الصالحين ص ١٢.

كما أن لتنسيق الألفاظ في الجملة الواحدة، أو في الجمل أثره الحسن في نظم الكلام وفي تحقيق النسق الفني فيه وهذا واضح في كل كلام الرسول صلى الله عليه وسلم.

موسيقي الجمل والتراكيب:

ويتحقق هذا بتلاؤم الكلام وتناسق نظمه، وتناسب فقره، وتوافق حركة الجملة مع الجمله، والتركيب مع التركيب؛ ليؤدي بإيقاعه الحسن صورة لفظية بالكلام عن الفكـرة أو العاطفة موضوع التعبير، كما أن التلاؤم في الكلام يكون أثرا من توافق الكلام مع حركة النفس(١٩٣). ونستطيع النظر إلى هذه الموسيقي في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال الظواهر اللغوية الآتية:

أ ـ السجع وتوافق الفواصل:

جاء السجع في البيان النبوي كثيراً(١٩٤)، ولكنه كان صادراً عن طبع وفطرة، لا أثر للتكلف فيه، يعبر عن الإيقاع المتلائم داخل النفس النبوية، ويعكس تناغم الفكرة مع العاطفة من خلال تناغم صورتها اللفظية، وهو سجع سمح عذب جميل يختلف عن السجع المستكره الذي ذمه الرسول صلى الله عليه وسلم لا لأنه سجع، ولكنه لأنه سجع الكهان؛ لما يقوم عليه من باطل وما فيه من غموض، وما يهدف إليه من خداع وتضليل للناس(١٩٥).

فالسجع الفطري في حديث النبي صلى الله عليه وسلم يأتي منساقاً مع المعني الحق سائرا في ركابه، واضحاً في بيانه، سهلا في استيعابه ممتعاً في إيقاعه، يتلقاه السامع أو القاريء في رضى وقبول بسبب ما فيه من الحسن والقبول، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «اللهم آت نفسي تقـواهـا، وزكهـا أنت خير من زكـاها، أنت وليها

---

(١٩٣) انظر: أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة ص١٢٢، ١٢٣، ١٢٥.

(١٩٤) انظر: د. محمود رجب البيومي، البيان النبوي ص ٢٥٤. وانظر: العقاد عبقرية محمد ص٧٦:

(١٩٥) انظر: د. محمد الصباغ: الحديث النبوي.. ص٥٤، ٥٥. وانظر البخاري (كتاب الطب/ باب الكهانة عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كسجع كيجع الكهان». وانظر نماذج من سجع الكهان في جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ١/٧٨، ٧٩.

ومولاها»[196] ويقول: «تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء[197] ويقول: «ياأيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[198]. . الخ.

ب ـ الازدواج أو التوازن:

وهو نمط في الكلام يقوم على توزيع الجمل توزيعاً متناسباً متوازنا، وذلك برصف الفقر في تناسق لفظي ومعنوي، بما يمنح الجمل إيقاعاً حسناً على الأذن وقبولا حسناً في النفس[199]. «والتوازن ويسمى الازدواج موسقة فطرية في نفوس العرب جعلوا بها النثر أشبه بالنظم في جمال الرصف وحسن الإيقاع، فهو صفة من صفات الأسلوب لا تكاد تنفك عنه في جميع أغراضه ومختلف صوره. . فالازدواج على إطلاقة، والسجع على تقييده يؤلفان الموسيقية في الأسلوب البليغ منذ كان للعرب ذوق وللعربية أدب[200]».

وقد حفل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثير من أساليب الازدواج والتوازن بين فقر كلامه وترتيبها وتقابل الفقرة مع الفقرة، وتوازن الفقرة مع الفقرة طولا وقصراً، فتتآلف الأصوات في الكلام، وتتجانس الفواصل، محدثة إيقاعاً صوتياً فترتاح له الأسماع وتأنس به القلوب من مثل قوله عليه السلام: «إن الله تعالى كره لكم قيل وقال وإضاعة المال، وكثرة السؤال[201] وقوله: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهاء ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها[202]. وقوله: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده

(١٩٦) صحيح مسلم ٤/٢٠٨٨.

(١٩٧) فتح الباري ١١/٥١٣.

(١٩٨) سنن الترمذي ٤/٦٥٢.

(١٩٩) انظر: أحمد حسن الزيات: دفاع عن البلاغةلا ص١٢٧ ـ ١٣٠. ود. محمد الصباغ، الحديث النبوي. . ص٧٥.

(٢٠٠) أحمد حسن الزيات: دفاع عن البلاغة ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢٠١) الجامع الصغير ٤/٢٧٤.

(٢٠٢) رياض الصالحين ص ١٢.

تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[٢٠٣] وفي رواية احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ماأخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا»[٢٠٤]. إن المتلقي يحس بهذا النسق الصوتي الجميل الذي يحافظ على الأبعاد في تنظيم النطق في الوقت الذي يحقق التأدية المطلوبة للمعني «والازدواج في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تنسيق للمعاني قبل أن يكون تنضيداً للألفاظ بحيث يشعر القاريء أنه يترقى من فكرة إلى فكرة لا أنه يدور في فلك لفظي»[٢٠٥].

جـ ـ التجنيس :

ومن المظاهر البديعية ذات الأثر في تحقيق إيقاع الكلام، المجانسة بين الألفاظ في الجمل أو الفواصل من مثل قول رسول الله صلىء الله عليه وسلم :

«الظلم ظلمات» و«أسلم تسلم»[٢٠٦] : وقوله : «الخيل معقود بنواصيها الخير»[٢٠٧].

د ـ الطباق وبقية المحسنات البديعية :

وهذه مظاهر أخرى في الأسلوب العربي والنبوي ذات الوظيفة الإيقاعية الخاصة، التي تحقق للكلام موسيقيته، فمن الطباق قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع»[٢٠٨]. وهناك كثير جداً من ألوان البديع التي

---

(٢٠٣) السابق ص ٤٣.

(٢٠٤) السابق.

(٢٠٥) د. محمد رجب البيومي، البيان النبوي ص ٢٥٣.

(٢٠٦) تحرير التحبير ١/١٠٥.

(٢٠٧) السابق ١/١٠٧.

(٢٠٨) كتاب الصناعتين ص ٢١٨.

لها أثر ما في البناء الموسيقي للحديث، والاسترسال في ذكر الأمثلة لا يسمح به المقام هنا لضيق الوقت ويمكن الرجوع إلى ذلك في كتب الحديث والبلاغة.[٢٠٩].

هـ ـ الترتيب النفسي للكلام:

ليست موسيقى الكلام منحصرة في الألفاظ أو في المحسنات البديعية على اختلاف أنواعها ولكنها تتحقق بغيرها «إذا رتب الكلام ترتيباً نفسياً يوافق اهتزاز المشاعر وتموجات النفس بأن يعبر الأديب عن خواطر تطرد وتتدفق منسجمة في نسق خاص، فكأن سلكا خافيا ينظمها نظم الدر، وهذا ما يعرف بالموسيقى الخفية، وأمارتها أن تستمع للأثر الأدبي يتلى عليك ومن ورائه أذنك المرهفة تصغي لنظم قد تماسك والتحم معنى ومبنى بمعنى أن القارىء لو سكت فجأة دون إتمام مقاله الأدبي لشعرت أن نشازا حدث فانبترت الموسيقى انبتاراً قاطعاً، فإذا أتم الحديث لغايته فقد بلغ بك الطرب النفسي أقصاه، إذ رويت ظمأك بما ينفع الغليل. ومن المعلوم أن تنسيق الألفاظ تنسيقاً فنياً يكسبها معاني جديدة. . .»[٢١٠].

نقرأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا[٢١١]. فنجد أثراً في نفوسنا وعقولنا معاً لهذا النسق الأدبي لعرض هذه المعاني، ونجد انسياباً في تتبعنا لمراحل الحديث ينساب مع هذا العرض المنطقي المرسوم مع حركة بناء المعنى في النص نفسه.

---

(٢٠٩) انظر ألوانا من البديع ساقها الدكتور عز الدين على السيد في كتابه (الحديث النبوي) ص٢٨٩ ـ ٣٠٢.

(٢١٠) د. محمد رجب البيومي ؛ البيان النبوي ص ٢٤٩. وانظر: محمد حسن الزيات؛ دفاع عن البلاغة ص١٢٥.

(٢١١) رياض الصالحين ص ٣٨ ـ ٣٩.

خاتمـــــة:

ثمة ملاحظتان ينبغي أن نشير إليهما في خاتمة الكلام عن أهم الملامح الفنية في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الأولى أن هذا البحث ليس سوى إشارات سريعة إلى بعض أهم الملامح الفنية ولم يكن في مقدورها نظراً لغزارة البيان النبوي، وتسنمه قمة البلاغة البشرية فناً عظيماً وبياناً بليغاً، أن تفي بحق هذا البيان تتبعاً وتحليلاً بسبب ضيق المجال المتاح لمثل هذا البحث في الـزمـان والمكان، وسيظل هذا الموضوع في حاجة على الدوام لمزيد من البحث والنظر والتأمل والتفصيل.

والثانية أن هذا التفوق البياني، والجمال الفني الذي يتسم به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو النموذج الثاني بعد القرآن الكريم للنصوص الراقية للأدب الإسـلامي، يلفتنـا إلى حقيقة مهمة جداً ينبغي أن نتأملها طويلاً وبخاصة ونحن بصـدد تعميق مفهـوم الأدب الإسـلامي وتـرسيخ أقـدامه في مسار الحركة الأدبية للمسلمين، تلك الحقيقة هي ضرورة التزام المسلمين في أدبهم وتعبيرهم بالفنية في أدائهم.

يجب أن نلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يلتزم الأسلوب الفني في حديثه الشريف، الذي يحقق لبيانه الجمال والتأثير إنما يوجهنا بطريق غير مباشر إلى أهمية الالتـزام بالشروط الفنية والأسـاليب البلاغية، والعناية بمقومات البناء الفني الفاعل في نفوس المتلقين، لنحقق لمضموننا الإسلامي وسيلة فنية تحقق التبليغ والتأثير وفق طريقة أدبية تمتع وتقنع.

والله الموفق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

المصـــــادر والمـــراجع

- **ابن أبي الأصبع :**
تحرير التحبير، المجلس الأعلى، ١٣٨٣هـ.
- **ابن الأثير، ضياء الدين :**
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة ط. ثانية منشورات دار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- **ابن الأثير، المبارك بن محمد :**
النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي.
- **أمين بكري شيخ :**
أدب الحديث النبوي، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق ط. الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- **البـاقلاني :**
إعجاز القرآن. المعارف، الطبعة الأولى.
- **البخـــاري :**
صحيح الخاري ، مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٨هـ.
- **البيومي ، محمد رجب :**
البيان النبوي، المنصورة ـ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- **الترمذي ، أبو عيسي**
سنن الترمذي، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

- **الجاحظ ، عمرو بن بحر.**
البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة - مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- **الجرجاني :**
الكنايات .
- **ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي :**
الوفا بأحوال المصطفي، تحقيق مصطفي عبد الواحد، القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- **ابن حجر العسقلاني :**
فتح الباري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ.
- **الحلبي، على بن برهان الدين :**
إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، مطبعة مصطفي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- **ابن حنبل ، أحمد :**
المسند.
(أ) بتحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م
(ب) طبعة المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار صادر بيروت، وهي مصورة عن طبع المطبعة الميمنية بمصر في ١٣١٣هـ.
- **الخطيب القزويني :**
تلخيص المفتاح، الطبعة الأولى.
- **الدارمي :**
سنن الدارمي، شركة الطباعة الفنية المتحدة بالدراسة.
- **أبو داود:**
سنن أبي داود، طبع ونشر مصطفي الحلبي بمصر ط. الأولى ١٢٧١هـ/١٩٥٢م.

- درو، اليزابيث :
الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة د. محمد إبراهيم الشوش، بيروت منشورات مكتبة منيمنة بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر (بيروت - نيويورك) ١٩٦١م.
- الدمياطي :
الجواهر اللؤلؤية، المليجية، ١٣٢٧هـ.
- الرافعي ، مصطفى صادق:
١ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت دار الكتاب العربي، ط. التاسعة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣ : ص ٢٧٧ - ٣٤٢.
٢ تاريخ آداب العرب، بيروت - دار الكتاب العربي، ط. الثانية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
وحي القلم، بيروت - دار الكتاب العربي، ط الثامنة، د.ت .
- ابن الربيع الزبيدي:
تيسير الوصول ، الحلبي ، ١٣٥٣هـ.
- ابن رجب الحنبلي:
جامع العلوم والحكم. الأهرام التجارية، ١٩٧٠م
- ابن رشيق القيرواني:
العمدة في صناعة الشعر ونقده، القاهرة ، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.
- الزمخشري:
الفائق في غريب الحديث تحقيق علي محمد البيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثانية.
- الزيات، أحمد حسن:
دفاع عن البلاغة، القاهرة - عالم الكتب الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.
وحي الرسالة.. ، بيروت - دار الثقافة ، الطبعة السادسة، ١٣٩٣هـ /١٩٧٣م.

- **الزير ، محمد بن حسن :**
القصص في الحديث النبوي - دراسة فنية وموضوعية، الطبعة الثالثة، جدة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- **ابن سنان الخفاجي، عبد الله بن محمد :**
سر الفصاحة، الخانجي ، ١٣٥٠هـ.
- **السنكي ، أبو بكر:**
الإيجاز وجوامع الكلم من السنن المأثورة.
- **السيد ، عز الدين :**
الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م .
- **السيوطي ، جلال الدين :**
الجامع الصغير .
المزهر . . الحلبي ، الطبعة الثانية.
- **الشريف الرضي :**
المجازات النبوية ، تحقيق وشرح د . طه محمد الزيني - القاهرة - مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
- **الصباغ ، محمد:**
الحديث النبوي (مصطلحة - بلاغته - علومه - كتبه) بيروت ، منشورات المكتب الإسلامي ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
- **صفوت ، أحمد زكي:**
جمهرة خطب العرب.
- **ضيف ، شوقي:**
الفن ومذاهبه في النثر العربي ، مكتبة الدراسات الأدبية (١٩)، القاهرة دار المعارف بمصر ط. ثالثة ، ١٩٦٠م .

- **العسكري ، أبو هلال :**
كتاب الصناعين . الكناية والشعر، تحقيق علي محمد البيجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة - عيسي البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧١م .
- **العز بن عبد السلام :**
الإشارة إلى الإيجاز ، العامرة، ١٢١٣هـ .
- **العقاد ، عباس محمود :**
عبقرية محمد ، دار الهلال .
- **العيني ، محمود بن أحمد :**
عمدة القاري ، القاهرة - مكتبة مصطفي البابي الحلبى ، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢ .
- **القاضي عياض :**
الشفا بتعريف حقوق المصطفي ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني .
- **القضاعي ، أبو عبد الله :**
الشهاب في الحكم والآداب .
- **قطب ، محمد :**
قبسات من الرسول، دار الشروق ، مطابع الشروق، بيروت .
- **ابن ماجه :**
سنن ابن ماجه ، عيس الحلبي وشركاه، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، ١٩٧٢م .
- **مالك بن أنس :**
المؤطأ . وعليه شرح الزرقاني ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م .
- **الماوردي ، على بن محمد :**
أدب الدنيا والدين ، تحقيق مصطفى السقا .
- **المبرد ، محمد بن يزيد :**
الكامل ، تحقيق محمد أحمد الدالي .

- **مسلم ، ابن الحجاج :**
صحيح مسلم ، خدمة محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط . الأولى ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .
- **المسلوت ، عبد الحميد محمود :**
الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام ، الجامعة الليبية ، ط الأولى ١٩٧٣م .
- **أبو موسي ، محمد :**
قراءة في الأدب القـديم ، ملتـزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، دار الثقافة العربية للطباعة ، الطبعة الأولى ١٩٧٨م .
- **النووي ، يحيي بن شرف :**
رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، قابلة وعلق عليه رضوان محمد رشوان ، بيروت ـ دار الكتاب العربي ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
- **الهيثمي ، على بن أبي بكر :**
مجمع الزوائد ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .